جدلية الفلسفة والتربية

"جان بول سارتر "

وفلسفة تربية المقاومة

تأليف

أ.د/ أمــيرة عـبد السلام زايــد

أستاذ أصول التربية

كلية التربية - جامعة كفر الشيخ.

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دار الجديد للنشر والتوزيع

921.1

ز . أ

أميرة عبد السلام زايد ،.

جدلية الفلسفة والتربية " جان بول ساتر" وفلسفة تربية المقاومة / أميرة عبد السلام

زايد.- ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

152 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 978 – 977 – 308 – 555 - 1

1. الفلسفة الفرنسيون .2. الوجودية.

أ -العنوان.

رقم الإيداع : 11024 .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

elelm_aleman@yahoo.com & elelm_aleman2016@hotmail.com E-mail:

النـــاشـــر : دار الجـــديد للنشـــر والتـــوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

الفهرس

الفهرس .... د
قائمة المحـتويات.. و
تقــديم.. 1
الفصل الأول الفلسفة والأدب والتربية مناقشة حول فكر المقاومة.......................... 4
مقدمة:.. 5
الفصل الثاني الفلسفة الوجودية وفكر المقاومة "سارتر وعصره"........................... 22
أولا: سارتر وبعض قضايا العالم في عصره ،وموقفه منها................................... 23
ثانيا: بطاقة حياته وتشمل:.. 36
الفصل الثالث أسس ومرتكزات فلسفة تربية المقاومة لدى سارتر......................... 53
أولا: وجودية سارتر(السارترية).. 54
ثانيا:سارتر وحرية الإنسان(تحتاج عمق بربطها بالمقاومة) 59
ثالثا: فكر المقاومة لدى سارتر:.. 64
رابعا: سارتر وقضية الالتزام والفعل المقاوم:... 82

خامسا: أخلاق المقاومة عند سارتر وكيف تكتسب بالتربية...............................87

الفصل الرابع سارتر وأبعاد تربية المقاومة " مسرحية الذباب "............................95

أولا: الفكرة الرئيسة في مسرحية الذباب أو الندم:Les Mouches 96

ثانياً: الشخصيات الرئيسة بالمسرحية : 97

ثالثا: التضمين الأسطوري في مسرحية "الذباب"..99

رابعا: أبعاد تربية المقاومة في المسرحية. 103

الفصـــل الخامس تربية المقاومة في الفكر الغربي "دروس مســـتفادة لإثراء الفكر والتربية العربيين" 148

أولا: الخلاصة وأهم النتائج. 149

ثانيا: تصـور مقترح لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرـحية الذباب في إثراء واقعنا التربوي. 154

المراجع...161

أولا:المراجع العربية 161

ثانيا:المراجع الأجنبية 166

قائمة المحـتويات

الموضوع
تقديم
الفصل الأول مدخل عن الأدب والتربية"مناقشة حول فكر المقاومة"
الفصل الثاني الفلسفة الوجودية وفكر المقاومة "سارتر وعصره"
أولا: سارتر وبعض قضايا العالم في عصره ، وموقفه منها.
سارتر وبعض القضايا من منظور محلي.
سارتر وموقفه من بعض القضايا العالمية.
ثانيا: بطاقة حياته وتشمل:
(ميلاده- نشأته-عمله ومؤلفاته).
ينابيعه الفكرية وجذور إبداعاته الفلسفية والأدبية.
مراحل تطوره الفكري.
مكانته الأدبية والفلسفية.

الفصل الثالث أسس ومرتكزات فلسفة تربية المقاومة لدى سارتر.
أولا: وجودية سارتر(السارترية).
ثانيا: سارتر وحرية الإنسان
ثالثا: فكر المقاومة لدى سارتر.
رابعا: سارتر وقضية الالتزام والفعل المقاوم.
خامسا: أخلاق المقاومة عند سارتر وكيف تكتسب بالتربية.
الفصل الرابع سارتر وأبعاد تربية المقاومة " مسرحية الذباب "
أولا: الفكرة الرئيسة في مسرحية الذباب أو الندم
ثانياً: الشخصيات الرئيسة بالمسرحية.
ثالثا: التضمين الأسطوري في مسرحية "الذباب".

رابعا: أبعاد تربية المقاومة في المسرحية.
الفصل الخامس تربية المقاومة في الفكر الغربي "سارتر ودروس مستفادة"
أولا: الخلاصة وأهم النتائج.
ثانيا: تصور مقترح لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب في إثراء واقعنا التربوي.
المراجع

تقــديم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...وبعد،،،،

يمثل هذا الكتاب مشاركة علمية تصب في مجال تربية المقاومة حيث اتخذ من التعليم بشكل خاص والتربية والثقافة والفكر بشكل عام مجالا لمناقشة رؤيته من منظور فلسفي ، ومن خلال أحد أهم فلاسفة القرن العشرين وهو"جان بول سارتر". وفي إطار مناقشة هذا الموضوع فإن المنهج الأمثل في قراءة "سارتر" ألا يتم فصله كفيلسوف عن تجربة الحياة التي عايشها والتي انعكست في أعماله لفهم المعنى والمغزى من تلك الأعمال. وقد وُضع في الاعتبار العديد من الجوانب في هذا الكتاب عند تحليل أحد أهم أعمال "سارتر" عن تربية المقاومة وهو العمل المسرحي"الذباب...أو الندم". حيث تم مراعاة رؤية "سارتر" الفلسفية في سياق التحليل وأفكاره الأساسية عن الوجودية ، وكذا سياق الواقع الذي عايشه "سارتر" وتقلبات المجتمع الفرنسي والمجتمع العالمي آنذاك. وقد اعتبر "سارتر" المسرح اللون الوحيد الممكن في عصرنا (مسرح المواقف) فيقول: "إذا كان صحيحا أن الإنسان حر في موقف معين ، وأنه يختار نفسه بنفسه في هذا الموقف وبه ؛ فإنه يجب أن نقدم على المسرح مواقف بسيطة إنسانية وحريات تختار نفسها

في هذه المواقف ...ولما كان لا وجود للمسرح إلا إذا تحققت وحدة المشاهدين ، فإنه يجب إيجاد مواقف عامة بحيث تكون مشتركة لدى الجميع. كمشكلة الغايات والوسائل ، وشرعية العنف ، ومشكلة نتائج العمل أو الفعل ومئات المشكلات والمواقف الأخرى.

وتناول العمل الحالي موضوعه في خمسة فصول كالتالي:

الفصل الأول: وتناول الإطار العام لفكر المقاومة والذي يكشف من خلال العلاقة بين الأدب والتربية.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان: الفلسفة الوجودية وفكر المقاومة والذي تناول"جان بول سارتر وعصره".

حيث ناقش بعض قضايا العالم في عصره ، وموقفه منها ، وتناول بطاقة حياته من حيث ميلاده - ونشأته ـ وعمله ومؤلفاته ، و ينابيعه الثقافية وجذور إبداعاته الفلسفية والأدبية ، و مراحل تطوره الفكري والأدبي.

وناقش الفصل الثالث أهم الملامح الأساسية التي تمثل الأسس والمرتكزات لتربية المقاومة لدى سارتر. والتي تم مناقشتها في إطار"وجودية سارتر- مفهوم سارتر عن الحرية والإنسان - سارتر وقضية الالتزام - فكر المقاومة عند سارتر- المعيار الأخلاقي".

وقدم الفصل الرابع تحليل محتوى أهم أعمال سارتر عن المقاومة وهو مسرحية الذباب لتبيان أبعاد تربية المقاومة بها من خلال دراسة التضمين الأسطوريفي المسرحية ، واستجلاء أبعاد تربية المقاومة بها.

وأخيرا ختم الكتاب بالفصل الخامس وجاء بعنوان: تقديم تصور لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب في بناء الإنسان المقاوم ودعم فكر المقاومة.

وانتهى الكتاب بخاتمة يدعو من خلالها إلى معاودة التفكير والنظر في أنظمتنا التعليمية من خلال ترسيخ قيم وأبعاد المقاومة في بناء الإنسان المعاصر.

وأخيرا أسأل الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يكون قد تضمن ما ينفع ويفيد القارئ في إرساء وترسيخ أبعاد تربية المقاومة لكل ألوان الظلم والقهر ولكل ما هو سلبي في الحياة...وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وعلى معلمنا وهادينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم.

المؤلفة،،،،

الفصل الأول

الفلسفة والأدب والتربية

مناقشة حول فكر المقاومة

مقدمة:

يمثل الأدب مرآة تعكس سمات الحياة في أي أمة , كما أنه عامل فعال في خلق تلك السمات. وهذا يعكس العلاقة التفاعلية بين الأدب والمجتمع بأنساقه المختلفة ومنها النسق التربوي. والمسرح جنسا أدبيا يلعب دورًا تربويًا خلاقًامن خلال ما يبثه من نص مسرحي وكذا تقنيات إنتاج العرض المسرحي، حيث تأخذ هذه التقنيات صبغة تربوية تبدأ من أساليب أداء الممثل ، إلى الديكور والموسيقى .. وغيرها حيث تحمل توجها تربويا من خلال علاقتها بالعمل المسرحي نفسه. إذ لا قيمة فنية لكل هذه التقنيات إذا لم يمتلك النص المسرحي وأداء الممثلين رؤية تربوية قادرة على التأثير في المشاهد ، بالشكل والأسلوب اللذين يجعلانه يعايش الجمال والمعنى معايشة المشاركة بخياله ورؤيته الخاصة. حيث يفترض أن العمل يرنوا إلى تعديل سلوكه على ضوء ما يترتب عليه من رؤى تربوية.

هذا وإذا كانت أسئلة: من نربي؟ ولماذا نربي؟ وكيف نربي؟ أسئلة أساسية يجب أن تجيب عنها أية فلسفة تربية تريد أن تضطلع بمهمة بناء البشر فهي أسئلة يطرحها الأدب أيضا ، خاصة الأدب الملتزم الذي دعا إليه عديد من الأدباء والمفكرين ومنهم "جان بول سارتر".الذي قدم أسئلة أساسية تتقابل مع فلسفة التربية في الأدب الملتزم ، بسؤاله عن ما الكتابة؟ ولماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟

وما موقف الكاتب في العصر الحديث؟. وهذا ما يطرح الأدب ككيان كبير وكرافد تربوي ويضع المسرح ضمن الفعاليات التربوية المهمة التي تلعب دورًا مهمًا في التوعية والتثقيف وتشكيل العقل ، وهى أهداف تربوية مهمة. كما تحمل دورًا مربياَ فيما تحققه من قيم على حسب توجه العمل المسرحي وأهدافه حيث التجسيد الحي لقضايا الإنسان والحياة بالصوت والرؤية والمعايشة.

لم يكن "جان بولسارتر" فيلسوفاً وأديباً متأملاً في الحياة والمجتمع وهو منعزل عن سياقهما ، بل كان فيلسوفا وأديبا ملتزما يحمل موقفا اجتماعيا ومساندا للسلام العالمي ، وضد الظلم والاضطهاد في كل مكان في العالم ، وظل يدافع عن ذلك طوال حياته. وهذا يمثل موقف قيمي تربوي مقاوم من الدرجة الأولى يدعو إلى تربية المقاومة لكل ما يسلب الإنسان حريته وقيمه وإنسانيته وتلك أبعادًا مهمة في بناء الإنسان المقاوم. وفي إطار ذلك يرى "فؤاد زكريا": أن سارتر في مراحل مختلفة من حياته كان محارباً ، ومعلماً وأديباً ومؤلفاً مسرحياً وصحفياً وسياسياً ومناضلاً نشطاً في سبيل قضايا الإنسان ...وسارت أعماله الكبرى في خطين متوازيين: خط الأدب ، وخط الفلسفة ، وكان كل من الخطين يكمل الآخر ويفسره (زكريا ، 2010 ، 185). فكانت الأعمال الأدبية لسارتر دعوة للأفكار الوجودية وفكر المقاومة والتي تركت آثارا اجتماعية مدوية عملت بمثابة تعزيزا كبيرا لسارتر خاصة من خلال قصصه ومسرحياته.

فقد ترتب على الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية ، ومأساة الفاشية والنازية وقسوة الاحتلال النازي لفرنسا ومعايشة القلق والاعتداء على الحريات ؛ شعور الإنسان بحالة من الفزع على مستقبل وجوده دفعه إلى محاولة تغيير شكل الحياة. وقد شارك سارتر الإنسان في عصره هذا القلق والخوف التغيير والمقاومة كأديب ومفكر وجودي ، وكمواطن مقاوم للاحتلال ولكل ألوان الاستبداد.

وإذا اتفقنا مع الرؤية القائلة بأن: "التعليم هو أن يتعلم المرء كيف يفكر بنفسه بتوجيه معلم..." (رسل ، 2009 ، 119). فإن الإجابة عن الأسئلة السابقة تتطلب فيلسوفًا واعيَا ومتمكنًا , وذا عقل مفتوح على المجتمع والتربية ، كما تتطلب أديبَا مبدعًا متعايشًا مع هموم الحياة ، ومعلمًا مربيَا وموجها للعمل التربوي المستند إلى فلسفة تربوية واضحة.

وإذا كان النص المسرحي يعتمد على عناصر أساسية تشكل دعائم ضرورية لتحقيق الرسالة التربوية المنشودة ، كأن يكون له أهداف مربية وإجراءات ومنهجية متضمنة في الأداء و تقنيات معينة للعمل ، فإن مسرح سارتر كان ثريا بتلك العناصر ؛ حيث تجسدت أفكاره على أرض الواقع ، وانتشر هذا الفكر وأزدهر من خلال مسرحياته مما أثر في المتلقي حيث شعر معه بقيمة أن يكون الإنسان حرَا مجسدًا للحرية ومحققا وجودهأو قيمة أن يكون إنسانا مقاوما لكل ألوان الظلم ، أو متمثلا لأي فعل اختاره بحرية كما يجسده العمل المسرحي من خلال أداء الممثلين وتقنيات هذا العمل عموما.

ويؤكد" أرونسون" على أن "مسرحية "الذباب" تمثل الإسهام الرئيس في فكر المقاومة الذي قدمه سارتر الكاتب الذي قاوم وليس المقاوم الذي كتب"(أرونسون 2006 ، 47). فكانت بمثابة التدعيم القوي لحركة المقاومة والتأصيل لفكر المقاومة عامة.

ثمة مقاومة الخوف والمطاردة والسلطة الظالمة وفي المقدمة مقاومة العدوان الذي نعانيه..العدوان على الأرض والموروثات والقيم والهوية..المقاومة الإبداعية التي لا تقصر المقاومة على السلاح فتلك المقاومة ليست في مجرد الكلمات الجهيرة أو الزاعقة ، إنها تحتفي بالجمال والصوفية والخيال واللحظات الإنسانية..إذا كان للإنسان أن يموت في النهاية ، فإن موته لابد أن يتحقق دفاعا عن غاية نبيلة (جبريل ، 2015 ، 72).

وإذا كان سارتر يرى أن القضية الرئيسة للفلسفة ، هي دراسة الوجود الإنساني ، وما يعتريه من إحساس بالهم والقلق والاغتراب ، فإنه وجد أن الرواية هي أصلح وسيلة للتعبير عن الفكر الوجودي ، وعن مأساة الوجود الإنساني ، وليس أدل على ذلك من أن سارتر قد عرض للخيوط الرئيسية في وجوديته في رواياته كالذباب والغثيان وغيرهما (خضر ، 1998 ، 6). "فمسرح سارتر غير منفصل عن فلسفته فيرى أن الوجود سابق على كل خبرة ، وأن التيه في الظروف التاريخية والاقتصادية الذي يحدد موقف الإنسان ويجعله غير قادر على بناء حريته... وأن كل موقف يفرض اختيارا ما وأن الرفض ذاته اختيار ، وفي كل لحظة الإنسان مدعو كي يؤكد كرامته وفعله الذي هو حريته" (Couprie, 1995, 113).

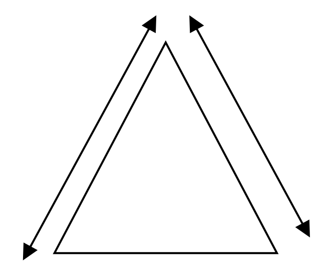
كما أعلنها "أورست" في مسرحية الذباب. هذا وسارتر صاحب نظرية "الأدب الملتزم" ، جعل للأدب وظيفة اجتماعية. فعندما تصل رسالة الأدب إلى المتلقي ، يعي العالم الذي يحيط به ويعي ذاته ، ويتحمل نصيبه من المسؤولية ...والمسرح كان الوسيلة التي حاول بها سارتر أن يخرج من عزلة المثقفين(أسعد ، 1987 ،243).

وسارتر بذلك هو أول فيلسوف أصيل يخرج على القاعدة الذهبية في الفلسفة التي تدعو إلى تجنب الجماهير من أجل اكتساب حرية القول والفعل (الديدي ، 1971 ، 29). فكان يسخر من هؤلاء الذين يحصرون الأدب في نواحيه الفنية لذاتها ، ونفيهم أن يكون للأدب تأثير أو هدف فيقول:

"إننا إذا اعتبرنا أن الكلمات لحظة خاصة من لحظات العمل ولا معنى لها خارج ذلك النطاق فإن كل كلمة ، أو إيماءة ، أو حركة... لها تأثير خاص في الملتقي" (سارتر ، 2005 ، 15- 26). ويؤكد "بول فاليرى" قوة الكلمات وتأثيرها فيقول: "عند الكلام أو الكتابة تخترق الألفاظ لينفذ منها إلى ما ورائها كما تخترق الشمس الزجاج" (القصاص ، 1967 ، 21). وهذا يعبر عن مضمون مربي مهم ووسيلة تسعى التربية من خلالها التأثير في النشء.

أراد سارتر تحويل الفكر إلى أسلوب حياة ، فانتقل الفكر الوجودي من جمود النظريات إلى الشارع والمقهى والنوادي الثقافية. وكما أن الأدب يرتبط بالتربية ، فإن سارتر رفض الفصل بين الأدب والفلسفة ، فمحور اهتماماتهم الثلاث (الفلسفة والأدب والتربية) هو "الإنسان" كغاية ووسيلة في ذات الوقت والمسرح كان "صورة" للحياة الإنسانية وترجمة لها ، وتعبير عنها وكذلك نقد لواقع الحياة بكل ما يحمله من مآسي وانتصارات وصراعات وانجازات. لذا لجأ سارتر إلى المسرح لترجمة فلسفته والحياة بشكل فني رائع. وقد أكد"محمود أمين العالم" هذا الارتباط قائلا: "ما أعرف أدبا ارتفع وارتقى وخلد ، إلا إذا كان ثمرة من ثمرات التأمل الفلسفي ، بل أكاد أقول أن الأدباء هم في الوقت نفسه فلاسفة كبار ، ومفكرون كبار. ولولا ما في أدبهم من فلسفة وفكر ما بقى ولا خلد منه شيء عبر التاريخ"(العالم ، 2010 ، 106). مما يعني أن فهم مسرح سارتر واستجلاء أبعاد تربية المقاومة به ، يتطلب فهم سارتر المفكر والفيلسوف الوجودي.

الإنسان (المقاوم)



دراسة أكثر تفعيلا لأبعاد المقاومة عن ذي قبل أدب أكثر وعيا بدوره الحر الملتزم عن ذي قبل

الواقع (الحرية)

التربية (تربية المقاومة)   الأدب (المسرح)



شكل (1) يوضح العلاقة المقترحة بين كل من الأدب والتربية في بناء الإنسان المقاوم.

والعمل الحالي يحاول أن يظهر جانب آخر في علاقة الأدب بالتربيةمن خلال مسرح سارتر ودوره المربي خاصة فيما يتعلق بتربية المقاومة في مسرحية الذباب وأبعادها المختلفة وما يدور في فلكها من قيم وأفكار كالحرية ، والالتزام والمسئولية وغيرها. حيث استطاع سارتر من خلال المسرح ودوره الفاعل التأثير في فكر الشباب الفرنسي بل التأثير في الفكر العالمي ومنه فكر المقاومة ، وذلك عبر أفكاره الفلسفية المتجسدة في الفكر الوجودي.

إن طبيعة التحولات والتغيرات التي حددتها صراعات القرن العشرينفي إطار الحربين العالميتين الأولى والثانية وظهور المد الاستعماري في أنحاء عديدة من العالم ؛ أدى إلى بزوغ وازدهار فكر وفعل المقاومة وصعود حركات المقاومةفي تلك الفترة من القرن العشرين والتي امتدت إلى القرن الحالي. تلك التحولات حددت شكل وطبيعة العلاقات الدولية والمحلية بل وحددت طبيعة العلاقة بين طبقات المجتمع وبين هذا المجتمع والتربية.

واتضحت أبعاد وآليات المقاومة في الأدب والفكر عامة وفي الفكر الوجودي خاصة وتبلورت في أعمال عديد من الأدباء والمفكرين(هنري جيرو ، وإيفان ايلتش و باولو فرير ، و جان بول سارتر وألبير كامو ، وسيمون دى بوفوار ، وإيميه سيزير و أمل دنقل ، ونزار قباني وغيرهم). كما انعكس فكر المقاومة على الممارسة التربوية من خلال العلاقة الجدلية بين التربية والمجتمع وما يموج به من اتجاهات فكرية وقد ميزت الدراسات في علم اجتماع التربية بين اتجاهين رئيسين هما الاتجاه الوظيفي ويطلق عليه اتجاه التوازن الرافض لفكرة الصراع ، ومن ثم يستبعد فكرة المقاومة. والاتجاه النقدي (ينتمي إليه سارتر)، ورغم تعدد مداخله إلا أنها تتفق على فكرة الصراع في تفسير الواقع الاجتماعي ، ومن ثم تبني المقاومة ودعم ثقافتها.

كان أبرز المحاولات في هذا الصدد ما قدمه "إيفان ايلتش"Ivan Illich وافريت رايمر Everet Reimer والدعوة إلى اللاتمدرس ، وهنري جيرو Hanry Giroux وباولوفرير Paulo Freire من خلال تعليم المقهورين وتكريس ثقافة الصمت في النظام التعليمي. هذا وقدمت دراسة المنوفي(2005) تأصيلا لنشأة فكرة المقاومة في التربية من خلال بعض المداخل في علم اجتماع التربية. وتناولت هذه النشأة والأبعاد الاجتماعية لتربية المقاومة في الشعر. ودراسة جمال الدين(2007) والتي أكدت على أن التعليم في حاجة إلى تفعيل دوره كجبهة من جبهات المقاومة الوطنية خاصة في ظل ضغوط العولمة الحالية. ودراسة حسين (2008) حيث أصلت للمقاومة وأكدت ضرورة استلهام دور الأدب في ترسيخ فكر المقاومة في التربية. وإذا كان "باولو فرير" قد أفاد من سارتر ، في الوصول بتجربته وفكره إلى كنه المواقف ، وفلسفتها المتداخلة ، فناضل من أجل تحرير الرجال والنساء لإيجاد عالم جديد"(علي ، 1995 ، 193) ، فإن هذا العالم الجديد الذي طمح إليه "باولو فرير" وغيره من المفكرين يقتضي المقاومة. وقد لعبت التربية في صياغته دوراً كبيراَ إذ أنها المسئولة عن بناء هذا الإنسان"المقاوم" الصانع للتغيير بمقاومة سلب الوعي وتكريس سياسة فرض الأمر الواقع ، وغيره من مظاهر الاعتداء على الحريات وهذا ما يتطلبه الإنسان المعاصر في ظل تداعيات العولمة. "ففي إطار العولمة تم التضحية بالحرية الفردية وذبح الذات لصالح الموضوع ،

وتهميش داخل الإنسان ففقد الإحساس بالمعنى حيث غدا كالسلعة تباع وتشترى ...، واتضح ذلك من خلال الترويج لقيم الثقافة الاستهلاكية ، وظهور اتجاهات فكرية واقتصادية مهيمنة وغيرها ، وهذا يقتضي فكر مقاوم لهذا الاجتياح ، وتربية جديدة يقودها عقل جديد"(Zayed, 2009 ,139-147). مما يقود التربية لبناء الإنسان وتأسيسه على مقاومة كل ما يكرس قهره واستعباده ويبقي على همومه ويستلب حريته ووعيه هذا ويبدو في الفكر الوجودي عامة وفكر سارتر خاصة ما يدعم تربية المقاومة فسارتر بحكم انتمائه اليساري كان عضواً مناهضًا لكل ألوان الظلم والاضطهاد دعم اتجاه المقاومة. ودعا إلى الانخراط في العمل ، وأن فعل الإنسان واختياره الحر ووعيه يصنع حريته "فعلي هو حريتي". وهذا يدعو التربية إلى تغيير دورها من بناء الإنسان المتماهي مع الأوضاع السلبية (الظلم والاستبداد والطغيان والقهر) إلى بناء الإنسان المقاوم (الحر - المسئول – الملتزم - المثقف). وتعزيز فكر المقاومة وترسيخ أبعادها في النشء والإفادة من أبعاد تربية المقاومة التي كشف عنها التحليل الكيفي لمسرحية "الذباب" لسارتر بما يتلاءم مع هويتنا.

وبناء على ما تقدم يمكن بلورة المشكلة التي يحاول الكتاب مناقشتها في السؤال الرئيس التالي:

"ما أهم أبعاد تربية المقاومة في أعمال جان بول سارتر ؟"

ومعالجة هذا السؤال يقتضي مناقشة ما يلي:

نشأة سارتر ، و ينابيعه الثقافية وجذور إبداعاته الفلسفية والأدبية.

أهم القضايا المجتمعية في فترة حياته والتي أثرت في تكوينه العام ، ورؤاه الخاصة.

أهم الملامح الأساسية التي تمثل الأسس والمرتكزات لتربية المقاومة بعامة ،ولدى الفكر الوجودي بخاصة (سارتر).

أهم ملامح وأبعاد تربية المقاومة كما تتبدى في مسرحية "الذباب" لسارتر.

الإفادة من أبعاد تربية المقاومة عند سارتر في بناء الإنسان المقاوم ، وإثراء العمل التربوي بعامة.

هذا وتكمن أهمية الموضوع الحالي في التالي:

إنتاج "سارتر" الفكري والأدبي غنى بكثير من المبادئ الإنسانية التي اكتسبت مرجعيتها من الفلسفة الوجودية التي قيل عنها أنها "جاب بول سارتر" وأنه هو الوجودية.

انتشار فكر سارتر وفلسفته في العالم كله وكذلك أعماله الأدبية خاصة المسرحية منها الأمر الذي يدعو إلى دراسة فكره ومسرحه لاستلهام ما به من أدوار مربية وأبعاد مقاومة. ومن ثم محاولة توضيح الدور المربى لمسرحية الذبابفي مضمونها المقاوم.

أن مناقشة مسألة الالتزام والمسئولية وتربية المقاومة هو حديث في صميم عمل التربية.. لذا فإن دراسة تشتمل على تلك الأمور قد تقتضي من النسق التربوي توظيف وتفعيل لهذه المبادئ والقيم في المنظومة التربوية. خاصة "وأن الوجودية السارترية فلسفة في الوجود والتربية والأخلاق وفي السياسة ويستحيل فصل هذه الجوانب لأنها متكاملة" (الديدي ، 1971 ، 21).

هذا العمل يحاول تدعيم النقاش حول علاقة الأدب والتربية والفلسفة حيث ينصب فعل كل هذه الأنساق على الإنسان فهو غايتها وهمها الأول. والحركة الفكرية السارترية ليست نظرية فلسفية فحسب ولا حركة أدبية أو فنية فحسب بل هي كل حي تغلغل في أرجاء الحياة اليومية جميعها.

حاجة مجتمعنا إلى تجذير فكر المقاومة تجاه سلبيات العولمة مما يتطلب الاهتمام بتربية المقاومة وبناء الإنسان المقاوم.

وتم استخدام "منهج التحليل الفلسفي" فطبيعة العمل البحثي وطبيعة الظاهرة محل الدراسة هي التي تدعو الباحث التزام منهج أو أكثر لمعالجة القضية هذا ومنهج التحليل الفلسفي لا يقف عند حد التحليل الفلسفي لبعض أفكار وأراء سارتر الفلسفية في إطار عدد من القضايا الأساسية لديه ، بل يمارس عملية تركيبية أيضًا للوصول إلى فهم بعض المواقف في تشكلاتها وتركيباتها خاصة تلك المتعلقة بتربية المقاومة ، والمستندة إلى أعمال سارتر الفلسفية والأدبية.

كما تم تفعيل أسلوب "تحليل المحتوى" في بعده الكيفي بتحليل مسرحية "الذباب" كأبرز أعمال سارتر في فكر المقاومة سعياَ وراء تبيان مضمونها المربي المقاوم وأبعاد تربية المقاومة كما يحملها النص بالمسرحية دون عزلها عن سياقاتها ، ومن ثم استخلاص أهم أفكار سارتر وتصوراته حول تربية المقاومة وما يرتبط بها من معاني الحرية والوعي والمسئولية ، والالتزام وغيرها من المعاني التي تمثل في جوهرها أبعادًا مربية في بناء "الإنسان المقاوم". مما تطلب الاعتماد على كتابات سارتر الأخرى حتى يتسنى فهم المرامي الحقيقية لتلك الأفكار لديه

تأسيسًا على ما سلف فإن الأمر قد تطلب:

1- قراءة الأدب التربوي المتعلق بإبراز العلاقة بين الأدب والتربية.

2- التعرف على بطاقة حياة الفيلسوف والأديب المقاوم "جان بول سارتر"والعوامل التي أثرت على نشأته ، وسمات عصره وكافة العوامل المؤثرة في تشكيل فكره.

3- التعرف على القضايا المحورية التي شغلت سارتر وموقفه منها.

4- التحليل الكيفي لمسرحية الذباب لسارتر للوقوف على أبعاد تربية المقاومة بها ، وما تشتمل عليه من مضامين وقيم ومواقف مربية وغير مربية.

5- تقديم تصور مقترح للإفادة من النتائج السابقة في توجيه العمل التربوي من خلال توظيف تلك الأبعاد والمضامين في جميع جوانب الأداء التربوي والتعليمي.

يهدف هذا الكتاب إلى الكشف عن أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب لسارتر والتي قد تسهم في بناء "الإنسان المقاوم" من خلال المنظومتين التربوية والتعليمية وتأكيد دورهما الريادي في التعليم , ودورها المربي كأحد أهم الأدوار المنوطة بهما.

تتجسد حدود العمل الحالي في معالجة شخصية سارتر من حيث النشأة والتكوين الفكري والفلسفي والأدبي مع تناول أهم الأحداث والملامح المجتمعية مما أثر على حياته وتوجهاته الفلسفية والأدبية. إلى جانب عرض تحليل لبعض القضايا المحورية في فكره وتصوراته وموقفه منها سواء كانت قضايا فلسفية أو سياسية أو اقتصادية .. محلية أم عالمية. وهذا يقتضي التحرك زمنيا خلال فترة حياة سارتر (1905 ـ 1980). وبشكل أساسي تنصب الدراسة على تحليل مسرحية "الذباب" لسارتر في أبعادها المقاومة كما يبرزها النص ومحاورة هذه الأبعاد في تفاصيلها.

مصادر الكتاب:

اعتمد هذا العمل على نوعين من المصادر هما:

أ-مصادر أولية:

وتتمثل في نص مسرحية الذباب كما كتبها سارتر، والتي تناولها البحث بالتحليل لمعالجة مشكلته كما اعتمد أيضا على بعض كتابات سارتر الفلسفية والأدبية (جلسة سرية- الأيدي القذرة – ما الأدب - وغيرها) للاستعانة بها في بناء الإطار الفكري للبحث وتدعيم الملامح الفكرية والأدبية عند سارتر.

ب- مصادر ثانوية:

وتتمثل في الكتابات والدراسات التي تناولت جان بول سارتر بالدراسة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي في فرنسا والعالم ، وكذا الإفادة من الكتابات والدراسات التي تناولت بعض القضايا المهمة كالحرية ، والالتزام وفكر المقاومة ، وغيرها . وتلك التي تبرز علاقة الأدب بالتربية.

المصطلحات:

تربية المقاومة: Resistance Education

يقصد بتربية المقاومة: الأفعال التربوية التي تمثل ركيزة لبناء الإنسان المقاوم حيث يعي حريته ومسئوليته عن اختياره في تأكيد ذاته وتحديد مصيره ، وتحمل تبعات هذا الاختيار ، ووعيه بالتناقضات المجتمعية من حوله وامتلاكه إرادة التغيير، ووعيه بقيمة الكلمة والصمت والفعل والالتزام تأكيدا لحريته. من ثم فإن تربية المقاومة تسعى إلى:

فك أواصر الأسر الإنساني ،

والوقوف ضد كل قول أو فعل يجرد الإنسان من حريته ويهدر كرامته وإنسانيته ، ويكرس قهره واستعباده. وهذا يعني تدعيم ركائز الحرية والالتزام والمسئولية في الإنسان والمجتمع مما يؤدى إلى قهر الظلم والاستبداد ومقاومته في الذات والآخر. وترسيخ تلك الأبعاد يحتاج إلى تنمية الوعي بالذات والمجتمع ومصير وجودهما، والذي يقود إلى تدعيم مشاركة الإنسان في تغيير شكل ومضمون الواقع إلى مستوى أكثر إيجابية.

الأدبيات التي تناولت بعض أبعاد الموضوع تنقسم إلى قسمين:

الأول: دراسات عن الفكر الوجودي – سارتر بخاصة - من منظور تربوي مقاوم. وعلى حد معرفة المؤلفة قد خلت الدراسات التربوية من معالجات منهجية في هذا الجانب من الدراسات السابقة.

الثاني: دراسات عن تربية المقاومة وفلسفتها. وفي هذا الجانب من الأدبيات التي جاءت في هذا الأمر دراسة المنوفي (2005): وسعت هذه الدراسة إلى تقديم معالم تربية المقاومة كما يطرحها "نزار قباني" وفي إطار تحقيق هذا الهدف قدمت تأصيلا لنشأة وأسس فكرة المقاومة في التربية ، طارحة فكرة المقاومة لدى "نزار" من خلال بعض الافتراضات الأساسية وهى خلخلة وهدم مجتمع القهر ثم بث الأمل في التغيير ، مع عرض بعض النماذج الشعرية للشاعر.

وتوصلت تلك الدراسة إلى بعض أبعاد تربية المقاومة في شعر "نزار" منها مقاومة التطبيع ، ومقاومة الاحتلال، ومقاومة التجزئة العربية وغيرها من الأبعاد التي أوصت الدراسة بأهمية الإفادة منها في التربية.كما أكدت تلك الدراسة دور الشعر في دعم وتأصيل تربية المقاومة. ودراسة حسين (2008): وجاءت هذه الدراسة أعم وأشمل حيث تناولت تربية المقاومة في الشعر العربي المعاصر وفي هذا الشأن قدمت الدراسة للعوامل الفكرية التي أدت نشوء تربية المقاومة وافتراضاتها الأساسية ، ثم تناولت الأبعاد الاجتماعية لتربية المقاومة في الشعر ، طارحة جهود بعض الشعراء في بناء الإنسان المقاوم ، أمثال أمل دنقل ، وصلاح عبد الصبور ، ونزار قباني ، ومحمد الشهاوي وغيرهم. وتوصلت تلك الدراسة إلى العديد من مهام الشعراء في تحقيق بناء الإنسان المقاوم ، منها: مقاومة قيم الزحف الاستهلاكي ، ونقد العقل الشمولي ونقد تصورنا عن العقل. كما توصلت إلى بعض النتائج عن مظاهر تربية المقاومة في الشعر المعاصر من أهمها مقاومة الإقصاء والتهميش ، و احتكار السلطة ومقاومة الاستبداد. وأوصت بضرورة أن تتخذ تربية المقاومة الثقافة كإستراتيجية شاملة محوراً لها.

الفصل الثاني

الفلسفة الوجودية وفكر المقاومة "سارتر وعصره"

أولا: سارتر وبعض قضايا العالم في عصره ، وموقفه منها

سارتر وبعض القضايا من منظور محلي.

سارتر وموقفه من بعض القضايا العالمية.

ثانيا: بطاقة حياته وتشمل:

(ميلاده- نشأته-عمله ومؤلفاته).

ينابيعه الفكرية وجذور إبداعاته الفلسفية والأدبية.

مراحل تطوره الفكري.

مكانته الأدبية والفلسفية.

يتناول هذا الفصل "جان بول سارتر" وعصره حيث ناقش بعض قضايا العالم في عصره ، وموقفه منها ، وتناول بطاقة حياته من حيث ميلاده ـ ونشأته وعمله ومؤلفاته ، و ينابيعه الثقافية وجذور إبداعاته الفلسفية والأدبية ، و مراحل تطوره الفكري والأدبي.

أولا: سارتر وبعض قضايا العالم في عصره ،وموقفه منها.

1-سارتر وبعض القضايا من منظور محلي:

تميزت فترة حياة سارتر ببعض الأحداث الرئيسية والتي اتسم بها القرن العشرين كله ، منها : الحروب غير المبررة ، والقلق والفزع على مستقبل وجود الإنسان ، وصراع الطبقات ، ومحاولة البحث عن نظرية جديدة في العمل السياسي، وأيضا التوجهات والأطماع الاستعمارية وغيرها.

بدأ القرن العشرين بحرب عالمية أولى في عام 1914 وانتهت الحرب العالمية الثانية عام 1945 وبعدها شكلت الحرب الباردة صلب الجدل القائم بين سارتر وكامو ، حيث لاحظ سارتر وغيره أن كامو تجنب الحديث عن العنف الناجم عن الاستعمار ، وهذا يعتبر حدث كبير وخاصة عندما تكون بلاده في خضم الحروب الاستعمارية. وقد أثارت الحرب الباردة النقاش الفكري حول ما ينبغي عمله سواء مع الاستعمار أو ضد الاستعمار. "راجت حركة نقد كبيرة بين المثقفين الفرنسيين للأدب والتاريخ الفرنسي في حقبة ما بعد الحرب ، فعندما يكون العنف هو القضية العامة ويتم التجاهل الفوري لسياق الحرب الاستعمارية الفرنسية في صالح التعليق على ما كان يحدث في البلدان وراء الستار الحديدي ، كما فعل بعض المؤرخين ؛ فإن كتابه التاريخ تبدو مضلله. كما أن الانقسامات السياسية في الحياة الفكرية الفرنسية جعلت تقييم سارتر تقييما موضوعيا أمرا صعبا" (Arthur, 2007, 239- 240).

وتلت فترة الأربعينات حالة من القلق وإعادة الصياغة في كثير من البلدان خاصة الدول الكبرى. وعلى حد تشخيص "جون باتوكاPatocka John" فإنه يرى الفترة من عام 1914 إلى عام 1975 حالة استثنائية وعابرة في هذا القرن المطبوع بالعنف ، إلا أنها العصر الذهبي للديمقراطيات الاجتماعية (مونجان ، 2003 ، 85).

في إطار الفترة ما بين الحربين الأولى والثانية كانت عوامل الانحلال تسرى في المجتمع الفرنسي فظهرت حركة "الرفض الكلى" Do Daisme وهى الحركة التي جاءت في أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة. وظهرت الحركة السريالية Surrealism والتي تمثلت بصفة خاصة عند أندريه بريتون Andre Breton وأرادت أن تحرر الإنسان من التفكير العقلي ومن وضعه الاجتماعي لتسلمه إلى الدوافع اللاشعورية في حريتها التامة (الشاروني ، 1963 ، 52). وجاء الأدب الفرنسي في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وامتدت إلى الحرب العالمية الثانية صورة صادقة للحياة الفرنسية وعاملا في الوقت ذاته على انحلال هذه الحياةفي أبعادها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية. وشاهدت الفترة فيما بين عامي 1930 ، 1939 اشتداد الأزمة الاقتصادية في العلم كله وتوغل النزعات الفاشية والنازية في فرنسا ذاتها.

هذا وقد شعر سارتر كفرد فرنسي أولا وقبل كل شيء كغيره من الفرنسيين بهذه الحرية وما يترتب عليها من مسئولية وقلق كفيلسوف ، وأديب يرى الحياة والواقع بنظرة ثاقبة ومتأنية.

إن فترة ما بين الحربين أثارت في سارتر كفيلسوف فرنسي قيم هذه الفترة فقد تأثر بتيارات الفلسفة الألمانية ، في ذات الوقت الذي شعر فيه سارتر والفرنسيين بعدم مناسبة الفلسفة البرجسونية "فلسفة الاتصال والتفاؤل والديمومة" ومع هذا الجو العاصف ومع الزوابع العالمية التي تضيع فيها قيمة الحرية، سادت مظاهر القلق والشقاء (الشاروني ، 1963 ، 82). وفي هذا الجو الجديد الذي اختفت فيه شيئا فشيئا معالم الطمأنينة وروح التفاؤل ظهر سارتر وابتدأ يفلسف.

أما الفترة من 1946 حتى 1950 كانت تبدو أساسية في خط سير سارتر وأهم ما يميزها صراع الطبقات بشكل مباشر وتضمنت الخلافات الاجتماعية التي عادت إلى الظهور في فرنسا بعد فترة الهدوء القصيرة التي صاحبت سنتي السلام الأولى ويبدو هذا الصراع كان بلا فاعلية ، فقد تبع اضطرابات سنة 1947 انخفاض محسوس في قدرة العمل على الصراع... ولكن كان هناك تعديلا واحدا لعلاقة القوى داخل فرنسا وإيطاليا خاصة , يستطيع أن يمنع الطبقة البورجوازية من دفع هذه البلاد إلى معسكر من المعسكرين بربطها خوفا من الشيوعية ، بالاستراتيجية الأمريكية ، وبرغبتها في شن حرب صليبية ضد الشيوعية (جانسون ، 1967 ، 231) وفي هذا السياق ، رفض سارتر المصادقة على صعود غير مشروط للحضارة على الطبيعة حيث يرى أن الرفض أو الحرمان من الطبيعة يمكن أن ينتج نوعًا من النفاق المرتبط بسوء نية البرجوازية التي وضعت إيديولوجيا "التمييز" كوسيلة لتمييز نفسها على الطبقات العاملة(Charme,1991,252).

ويسترسل سارتر في عرض الصراع فيقول: الأمل في أن نستطيع التوجه رأساً إلى الطبقة الكادحة لتعليمها المبادئ الحقيقية للثورة الحقة. وفي هذه الأثناء يستمر العالم في الانزلاق نحو الحرب. وأنه ليست هناك إلا الطبقة العاملة... التي لا تزال لديها فرصة ما لممارسة ضغط لا يمكن إهماله على حكومات ميثاق الأطلنطي (جانسون ، 1967 ، 232). ويؤكد "الديدي" أنه كانت هناك تيارات كبيرة معارضة وقفت بالمرصاد لفكر ووجودية سارتر والتي لم تتصور خروج هذا العملاق الفكري الجديد فجأة وعلى هذا النحو الملفت للأنظار إلى عالم الفكر والأدب والفنون فأحس بالخطر أقصى اليسار الماركسي وأقصى اليمين الديني ، وهاجمه كل من استطاع حمل القلم في كتاب أو في صحيفة أو في ندوة عامة. وظهرت المؤلفات والكتب تحمل أقصى وأعنف الاتهامات إلى هذا الفيلسوف الشاب الذي أبدى أفكاره في جرأة وشجاعة إزاء الجماهير والناس من شتى الاتجاهات والأحزاب (الديدي ، 1971 ، 28 - 29).

وفي عام 1946 تحدث سارتر عن صراع الطبقات من وجهة النظر الماركسية فيقول: في نظر الماركسي ليس صراع الطبقات بأي حال قتال الخير ضد الشر ، أنه نزاع مصلحي بين جماعات بشرية. كما أعطى دوراً كبيراً للطبقة العاملة في خلاص الإنسان وأن ذلك يرتبط بتحرير تلك الطبقة: "أعرف أنه لا يوجد خلاص أخر للإنسان إلا بتحرير الطبقة العاملة... وأن مصالح العقل متفقه مع الطبقة الكادحة (جانسون ، 1967 ، 234).

تلك المواقف تجاه الطبقية كشفت عن مفاهيم سارتر عن الإنسان الثوري والفرد الحر والموقف الثوري، وحرية الآخرين وغيرها. مما يرسم ملامح فكر سارترفي تلك المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية في فرنسا والعالم ، وانحيازه للطبقات العاملة والكادحة. وقد تابع سارتر بشكل مفصل لحركات الاحتجاج في القرن العشرين ، فبين نهاية الحرب العالمية الثانية والستينات بدأ المثقفون الفرنسيون فترة مركزةمن تأمل النفس ، وتفحص العلاقة المعقدة بين التاريخ والعدالة الاجتماعية. وقام سارتر بحشد مجموعة المثقفين المرتبطين به إلى معركة ضد فكر ستالين وفي خلال تلك الفترة كان البحث عن نظرية جديدة في العمل السياسي (Kevin, 2005, 140).

وفي هذه الآونة وخاصة سنة 1952 عبر سارتر في حديثه عن الديمقراطية الحقيقية ، وصراع الطبقات أيضا: "أن الديمقراطية نظام بورجوازي بالنسبة لنا لا توجد ديمقراطية مثالية ، يوجد نظام ليبرالي يؤدى إلى المناقضات... وأن النظام الديمقراطي ليس اليوم إلا واجهة: فالمنازعات الحقيقية تحدث كلها خارجة والعامل الذي يدلى بصوته للحزب الشيوعي مواطن من الدرجة الثانية ، ويصاب هذا الصوت بتلف غامض (جانسون ، 1967 ، 236 ، 237).

هذا وظل سارتر مناضلا ومدافعا عن أرائه وواقفا ضد الظلم والقهر في كل مكان ومساندا لكل شعوب العالم المضطهد حتى توفي عام 1980.

2-سارتر وموقفه من بعض القضايا العالمية.

كان لسارتر موقف واضح ضد الظلم والاضطهاد بمساندته للشعوب المناضلة فقد كان للحربين العالميتين الأولى والثانية الأثر الكبير في تغيير حياة الإنسان في القرن العشرين ، فالخراب والدمار الذين ورثهما الإنسان من هاتين الحربين أثقلا كاهله من القلق والفزع على مستقبل وجودة. وما انشغال سارتر ببعض القضايا ذات الطابع العالمي ومناصرته لسائر الشعوب المناضلة ضد الاستعمار والظلم في كل مكان من العالم بهذا الصدق والاقتناع , لولا أنه ذاق بنفسه مرار الحرب والاستعمار النازي لبلاده ومرارة السجن والأسر فأحس بكل مضطهد وكل مناضل وأحس بقسوة الاستعمار وفظاعة أدواته , إذ يقتل الشعوب بالحط من أخلاقها وهذا الأمر يتم من خلال وسائل متعددة بالجهل الذي يغرقون الشعوب فيه والخوف الزائف , وتغييب العقل وإشاعة الخرافة وسلب الوعي وتزييفه والتي تسهم تلك الشعوب نفسها في الإبقاء عليه إذا لم تقاومه وتناضل من أجل استقلالها وتلك مواقف تربوية تحتاج كل تربية واعية إلى ترسيخها ، فكان سارتر بمناصرته هذه بطل من أبطال التحرير في العالم.

وقد يتضح ذلك من خلال تقديم بعض نماذج مناصرة سارتر للشعوب المناضلة كما يلي:

موقف سارتر من قضية الاستعمار الفرنسي للجزائر:

تصدى سارتر بقلمه وكلماته لعدد من القضايا المهمة ووقف مدافعا عن الشعوب المستضعفة ضد الظلم وحركات القمع والاضطهاد والاستغلال في جرأة وقوة عن اقتناع تام. فكان موقفه من قضية الجزائر (بلد المليون شهيد) من أنصع المواقف وأعظمها في دفاعه عن الشعوب المضطهدة التي تكافح في سبيل حريتها فقد "اشترك سارتر في المظاهرات التي قامت بالتنديد بأعمال الفرنسيين الوحشية وهاجم في محاضراته وخطبه تلك الممارسات المنظمة العنيدة للعنف المطلق من سلب ونهب واعتداء مادي ومعنوي وغير ذلك من أساليب همجية" (Paolucci,2007,251).

فيقول سارتر في كتاب بعنوان "مجندون يشهدون" أتمنى أن يقرأه جميع الفرنسيين ، ذلك إننا مريضون ، مريضون جدًا ، إن فرنسا المحمومة المأخوذة بأحلام مجدها القديم وباستشعار خجلها ، تتخبط وسط كابوس مبهم لا تستطيع التخلص منه ولا تستطيع سبر غوره فإما أن نرى بوضوح وإما أن ننفجر" (سارتر ، 1966 ، 45). وفي مؤلف سارتر "المعزبون" أو "البائسون" قد رسم صورة وردية لنضال الثوار الجزائريين وآفاق المستقبل السياسي. وتعرض سارتر لكثير من النقد حول مقدمة هذا المؤلف وفكره عن الحالة الجزائرية بشكل أو بآخر. كالشك حول وجود مستقبل مشرق للجزائر ما بعد الاستعمار... وغيرها (Arthur, 2007, 231-236).

وسعى سارتر جاهدا إلى حث الشعب الفرنسي على اتخاذ موقف جاد ومنعه من الاشتراك في تلك الجرائم تحت ستار مزيف فيقول:" علينا أن نبنى مع الجزائريين علاقات جديدة بين فرنسا حرة وجزائر محررة ولكن حذار أن يصرفنا عن رسالتنا خدعة إصلاحي فالاستعمار الجديد هو إنسان أبله أو إنسان خبيث وإذا أردنا وضع حد لهذه الأعمال الوحشية القذرة الكئيبة وأن ننقذ فرنسا من العار وننقذ الجزائريين من الجحيم فليس أمامنا إلا وسيلة واحدة هي "أن نفتح الباب للمفاوضات ونعقد السلام" (سارتر ، 1966 ، 22-69).

وأخيراً صدر في مارس 1962 أمر بإيقاف إطلاق النار في الجزائر وبدأ بذلك التعقل والنظر في القضية من وجهة أكثر تحرراً وأكثر اعتدالا بشأن الحرب التي كانت رحاها تدور هناك. فكان وقوف سارتر ودفاعه عن القضية من أجل الشعبين الجزائري والفرنسي :-

الأول: لرفع الظلم والاستعمار عنه .

والآخر: للاحتفاظ بكرامته وإقرار العدالة والسلام.

مساندة سارتر للثوار في فيتنام ضد الأمريكيين:

في عام 1967 كتب سارتر دفاعا عن الإنسان في فيتنام ضد الأمريكيين "فيتنام والاستعمار والإبادة" Vietnam Imperialism and Genocide من خلال مكانته كرئيس لمحكمة مجرمي الحرب. فيرى أن المجتمعات الرأسمالية كانت متورطة في عملية إعطاء المواليد لوحش الحرب العامة... لقد كانت الجرائم التي تحدث بحق الفيتناميين لا تكاد نرى لها مثيلا في العصر الحديث كانت حرب الإبادة التي اتبعتها الولايات المتحدة في خطر حقيقي في فيتنام فقد كان غرضها الأساسي حربي ، لقد أرادت تطويق الاشتراكية في الصين كحائل رئيسي لانتشارهم... ورغم انتشار قواتهم إلا أنهم وجدوا أنفسهم مواجهين بالأمم الفيتنامية الموحدة بشعبية تبلغ 31 مليون (Sartre, 1975., 74).

ذلك أنهم دمروا البناء الاجتماعي وكل المعتقدات , وألغيت الحياة الثقافية حتى العمل الذي يؤكد استمرار حياتهم الخاصة أنكروه ، فهؤلاء التعساء لم يساووا حتى العبيد فالعبودية لم تمنع إثراء الثقافة من التواجد بين الزنوج في أمريكا (Sartre, 1975., 77). فكشف سارتر من خلال كتاباته المساندة للفيتناميين جرائم الحرب والإبادة الأمريكية. فالإبادة بالحرب المباشرة والأسلحة المحرمة وسلسلة الجرائم الفظيعة والعنف التي قامت بها حكومة الولايات المتحدة ، كان من أجل تدمير عامفي فيتنام. ثم بعد أن تفرغ من ذلك تتوجه بطرح سياسة الاستثمارات الخاصة والقروض المشروطة لتدمير الاقتصاد وهو في حد ذاته إبادة أيضا. وهى نفس السياسة التي ما زالت تتبعها حتى الآن.

سارتر في كوبا:

كان سارتر يدافع عن إنسان كوبا ضد الأمريكيين أيضا وحاول الكشف عن مساوئ النظام الكوبي ويحث الشعب الكوبي على دفع المعاناة عن نفسه ومقاومة المحتل من أجل الاستقلال ، وبرزت أمال المقاومة بالفعل من خلال ما قدمه كاسترو وأعوانه. وكتب سارتر في تلك الفترة ما عزز به فكر المقاومة والعمل على امتلاك إرادة التغيير فيقول:"إن الكلام هو العمل" هذا ما اقتنع به سارتر وراح يؤكده من خلال وقوفه بجانب شعوب العالم الثالث ، فارتبط بالقضية الكوبية ، وقد انعكس هذا في نظريته الفلسفية والسياسية وتحليله للحالة التاريخية الفعلية(Paolucci, 2007, 246-247). وكأن أفكار سارتر تتحقق على أرض الواقع حيث قال:" أن الفكرة الصائبة انتصار .."كما سبق أن أشار البحث ، وأن مقاومة الظلم وقول "لا" لكل ظالم موقف داعم لتربية المقاومة.

موقف سارتر من العدوان الثلاثي على مصر ، ومن القضية الفلسطينية:

كان لسارتر موقف ضد العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 ووقف بجانب الإنسان المصري آنذاك فقال: إن فرنسا ذهبت تنقذ قناة وتقتل شعبا. فهذا الشعب الذي قررت فرنسا أن تقتله ليس الشعب المصري وإنما هو الشعب الفرنسي ، فليس من حق أي رئيس لحكومة فرنسا أن يجرد الشعب الفرنسي كله من شرفه وحبه للسلام وصداقته لكل الشعوب المحررة (دي كرستي ، ميونخ ، د.ت. ، 107)

أما بالنسبة لموقفه من القضية الفلسطينية فكان موقف فيه تحفظ... ففي أثناء حديثه لصحيفة الأهرام في ديسمبر 1965 قال أنه سيقدم وجهتي النظر(العرب وإسرائيل) في عدد خاص من مجلة الأزمنة الحديثة ، وبرر ذلك بقوله: لأننا لو أعطينا وجهة نظر واحدة فإن إعلام الجمهور الفرنسي وهذا الجمهور أعرفه تمامًا سيكون إعلامًا ناقصًا.

إن الرأي العام الفرنسي في حاجة إلى وجهتي النظر كي يحكم ولكي نحصل على وجهتي النظر خاصة وأنهما يرفضان الحوار تماما فيما بينهما ، فقد قررنا لا أن نكون محايدين فقط وإنما متغيبين تمامًا أي أن نكون غير ممثلين على الإطلاق في هذا العدد من المجلة (سارتر ، 1966 ، 165). وقد كان في موقف سارتر هذا نوع من الهروب اللبق من الإجابة بصراحة وهو ما يتنافى مع شخصية سارتر ومواقفه الصريحة والجريئة في دفاعه عن المضطهدين والشعوب المستضعفة كما اتضحمن مواقفه السابقة في الجزائر وكوبا وغيرها.

سارتر ضد العنصرية والاستغلال:

كان سارتر يبدي اهتماماً خاصاً بالسود وبالتعساء في كل مكان في الأرض ويحرص على الحريات ويلفت النظر إلى شقاء العاملين في المصانع وشقاء عمال التراحيل والكادحين تحت سطوة أصحاب رؤوس الأموال... فقد كان سارتر يبدي كراهيته للبورجوازية الفرنسية واحتقارها احتقاراً مهينا (الديدي ، 1971 ، 121).

وأظهر سارتر حقيقة وضع السود الممزقين بين حضارتين مختلفين والذين يتجرعون مبادئ البيض ليفرضوها بدورهم على أبناء لونهم كقيم عليا... ويرون العالم من خلالهم ولذلك فهم يرفعون راية الإحساس بالخجل من وجودهم كسود وهو وضع خلقه البيض بحكم وجودهم في موضع السيادة والتحكم لا بحكم الحقيقة النوعية التي خلقت الصنفين باختلاف البيئة والتاريخ (الديدي ، 1971 ، 121).

وقد عاب سارتر على ما تفعل الدول الاستعمارية ومنها فرنسا فيقول "إن جنودنا فيما وراء البحار يطرحون جانبا النزعة الإنسانية ويطبقون على الجنس البشرى مبدأ التمييز العنصري فما دام الإنسان لا يستطيع إلا بالإجرام أن يجرد شبيهه من ممتلكاته أو يستعبده أو يقتله فهم يشرعون مبدأ أن المستعمر ليس شبيها بالإنسان..." (سارتر ، 1966 ، 141).

فهو يرى أن العنصرية في الواقع مدرجة في النظام الاستعماري فالاستعمار يرفض منع حقوق الإنسان لبشر أخضعهم بالعنف وبقسرهم على أن يظلوا في البؤس والجهل (سارتر ، 1966 ، 44). وبقدر ما كان سارتر خصماً عنيفًا للاستعمار الفرنسي كان ناقدا لاذعا للطريقة الأمريكية في الحياة. وقد دفعه استهجانه لأمريكا إلى كتابة إحدى مسرحياته وهى مسرحية "البغى الفاضلة" (كرانستون ، 1981 ، 166).

وتشير كثير من الأعمال إلى المشاكل التي واجهها سارتر في محاولاته لمعالجة الاستعمارية والتمييز العنصري ، والجنس والوعي الطبقي ، وحرية الفرد والجماعة (Dale, L., 2004, 182). فقد دان سارتر من خلال مواقفه الصريحة السابقة كل أفعال التعذيب المختلفة ضد الزنوج وسكان المستعمرات... وسكان الأرض المضطهدين في كل مكان. ووصف هذه الأفعال بأنها لا إنسانية ومتوشحة.

إن التأثير الفاجع الذي أحدثته الحرب العالمية الأولى والثانية كان لها الأثر فيما حاق بالإنسان المعاصر من إحساس فادح بالقلق على وجوده وقيمه وثوابته وأدى إلى اغتراب الإنسان في أحيان كثيرة. ولعل ذلك الذي جعل سارتر يؤمن ببعض الأفكار مثل "أن الإنسان هو ما يريد" "وأنه حر ومسئول"... وغيرها. من ثم كانت الحرب العالمية نقطة تحول في فكر وآراء سارتر وعديد من الفلاسفة واتضح بشكل كبير في الانقلاب على الفلسفة التقليدية ، وعلى كل ألوان الظلم في عصرهم.

ثانيا: بطاقة حياته وتشمل:

1- (ميلاده- نشأته-عمله ومؤلفاته):

ولد جان بولسارتر بباريس 21 يونيو عام 1905 ، وتوفي 15 أبريل عام 1980 وكان والده بحاراً توفي بالهند الصينية وهو صغير، فتولى جده لأمه تربيته وتعلم سارتر بالمدرسة الثانوية التي يعمل بها جده أثناء الحرب العالمية الأولى 1914 في لاروشيل(كرانستون ، 1981 ، 41). علمه جده حياة البحث والدراسة والفضول منذ الطفولة ، ثم انتقل إلى كنف زوج أمه سنة 1916 وهو في عمر الحادية عشرة ، فاستثار لديه خيال الانتماء رغم لين معاملة زوج الأم (الديدي ، 1971 ، 24) وميلاد سارتر وضعه في سياق التحولات الفكرية والفنية والعلمية والسياسية حيث قلاقل القرن العشرين ومخاوفه واضطراباته.

والتحق سارتر سنة 1924 بالمعلمين العليا حتى سنة 1928 ثم حصل على الأجريجاسيون L`Aggregation في الفلسفة سنة 1929. وعمل بعد ذلك مدرساًفي كل من"الهافر Havre حتى عام1936 ثم في ليون Leon خلال الفترة 1936-1937 وقضى فترة في ألمانيا بالمعهد الفرنسي في برلين درس الفلسفة الألمانية، والتقى مع هوسرل حيث درس الظاهراتية وتأثر بها ، ثم عاد ليعمل مدرساً للفلسفة بمدرسة باستير الثانوية بباريس (Lecherbonnier , 1972 ,7) التقى سارتر برفيقة عمره "سيمون دي بوفوار" أثناء دراسته في الأجريجاسيون

وكانا ضد الزواج والأسرة والتقاليد وغير ذلك من المؤسسات والمصطلحات والعواطف التي دعوها بالبرجوازية(الحفني ،د.ت ، 191-192). وقد أهدى إليها "رواية الغثيان" وكتاب "نقد العقل الجدلي"، وكانت الغثيان أول محاولة أدبية حقيقية له. وظهر له كتاب "الخيال" في نفس الوقت تقريبا ، وفي نفس السنة رواية "الجدار" سنة 1937 في المجلة الفرنسية الجديدة ، والتي تأكدت من خلالها بعض الأفكار السارترية حول سوء النية والمسئولية ، والاغتراب ، ثم مؤلفه الكبير "دروب الحرية" والذي بدأه قبل الحرب ونشر مؤخرا دون اكتماله (Lecherbonnier, 1972, 7).

ويرى كرانستون: أن سارتر قد بدأ يكتب القصص عندما كان في الثامنةأو التاسعة وهو يسود مئات الصفحات ليحيا وجوده وليؤكد أنه يوجد دائمًا شيءَ يعمل على حد تعبير فرنسيس جانسون صديق سارتر وأكبر ناقد متعاطف معه (كرانستون , 1981, 9).

طُلب في التعبئة العسكرية سنة 1939 أثناء الحرب العالمية الثانية مجرد جندي بالخدمة الطبية ، ووقع في الأسر في يونيو سنة 1940 وأفرج عنه في سنة 1941.

شارك في حركة المقاومة في فرنسا بين عامي 1941-1944 وأصدر مسرحية "الذباب" التي تعتبر وثيقة ضخمة لتبيان مقاومة وحرية الإنسان وسعيه من أجل التحرر من الاستعمار. واستقال سارتر من التعليم سنة 1944 ، وأصبح كاتبَا مؤلفًا فقط (سارتر ، 1944، 104).

فقد كان العمل المستقبلي الذي كان يطمح إليه سارتر هو أن يكون كاتبَا ، إلا أن جده كان يفضل لحفيده أن يعمل أستاذا للأدب (Deguy, 1996, 17). بدأت قراءة سارتر الفلسفية تزداد في سن السادسة عشر وإن بدأت بخطى بطيئة وشاقة ولكنها كانت حازقة وحاسمة منذ البداية واستعان بقدرته الفائقة على الوضوح وببراعته على الكلام والكتابة فجمع حوله جمهور فرنسا المثقف ...حيث ناضل من أجل التعبير عن أزمة العصر بأكمله. وقد أفاده المسرح بدرجة كبيرة خاصة مسرح الموقف الذي يختار فيه الفرد حريته (الديدي ، 1967 ، 87-89).

قام برحلة واسعة إلى أمريكا سنة 1945 كتب خلالها عديد من المقالات وأصدر أول عدد لمجلة "العصور الحديثة عام 1946 (Lecherbonnier , 1972 ,8) فقد أراد سارتر أن يفتح أمام الإنسان ممرات واسعة في القوة والثقة بالنفس ممرات تحرر من الذلة والمسكنة ، وجمود العادات والتقاليد (سارتر ، 1948 ، 154) وعلى حد قول "عبد المنعم الحفني": كان سارتر يكره الرأسمالية ولكنه ما كان ماركسيا ، وكان يحب الفردية والحرية ولكنه ما كان فوضويا ، وكان إنسانًا يسيل ثقافة وذوقًا وحبَا للمعرفة والجمال والحقيقة لكنه ما كان روحانيَا... لم يكن يفكر في شكل مشكلة ولكنه كان يفكر،...(الحفني ، د.ت ، 192-193).ويرجع "بدوي" الشهرة التي نالها سارتر لما قدمه من قصص ومسرحيات ومواقف سياسية عالمية ولوضوح أسلوبه ولذاعة قلمه وعنف خصومته وميله للجدل والكفاح ،

وكل هذه عوامل فعالة في اكتساب الشهرة ، بل وفرضها على الناس فرضًا (بدوي ، 1980 ، 261-263). ومع بداية عام 1973 عانى سارتر ضعف شديد في الإبصار فلم يستطع الكتابة كما كان من قبل ، ومنذ ذلك الحين استمرت مداخلاته ولم يتوقف إلا أنه قلص منلقاءاته بالأصدقاء من الفلاسفة والصحفيين حتى توفي في 15 أبريل عام 1980(Deguy, 1996, 10). فكان سارتر أشهر مفكري الوجودية وليس أولهم إلا أنه اعتبر أهم فلاسفة الوجودية المعاصرين ، و قد اتضح ذلك جلياَ من خلال نقده للفكر الفلسفي السابق له. وتميزت أفكاره الوجودية حتى قيل عنها "وجودية سارترية". كان من أكثر المعبرين عن فكر وثقافة عصره بجرأة ؛ لذا كان طريقا مهما لفهم أحداث القرن العشرين والتي امتد تأثيرها إلى القرن الحالي.

2-ينابيعه الفكرية وجذور إبداعاته الفلسفية والأدبية.

هناك بعض الينابيع والمرتكزات الفكرية التي استمد منها سارتر فكره واستقى منها الخطوط العريضة لفلسفته مهما قيل عن انفصال روح وفكر سارتر الوجودية عمن سبقوه. فنشأ سارتر في بيت يعطى أهمية كبرى للقيم العقلية والأدبية ورأى نفسه محوطًا بكميات هائلة من الكتب وأتيحت له بذلك فرصة اكتشاف العالم والاطلاع على أعمال كبار الأدباء والكتاب فقرأ كورنى Corneille جوته Goethe ، وقرأ أعمال الشاعر الشهير شاتو بريون (Shateau briond) وفيكتور هوجو (Victor Hugo)

مثلما عرف كتابات موباسان (Moupassant) وفلوبير (Flaubert) وفي ذلك يقول هو نفسه: "لقد كنت صورة مصغرة للرجل البالغ فقد قرأت الكتب التي كتبت للبالغين" (Deguy, 1996, 12-13).

تأثر سارتر بكبار الفلاسفة أهمهم "هوسرل ، وهيدجر ، وهيجل ، وماركس "فأخذ عنهم وزاد عليهم ، وعارضهم في بعض الأفكار. فأخذ عن ديكارت وهوسرل وهيدجر لكنه تجاوز الثلاثة ، أخذ من هوسرل "الظاهراتية "وخرج على مفهومه عن العلم ، وأخذ من ديكارت بقضية الكوجيتو "أنا أفكر فأنا موجود "، ولكن سارتر تجاوز ذلك بكوجيتو: أنا أفكر في موضوع ما...وأحال الكوجيتو إلى قصدية ، ثم أحال القصدية إلى وجودية دون أن يلغي الكوجيتو أو القصدية ، وهو إذ يفعل ذلك يعاونه فيه فكر هيدجر لكنه يستعين أكثر من ذلك بحدسه (سارتر)(الحفني ، د.ت 200-203).

وفي الوقت الذي قنع به هوسرل بالوعي وحده كما فعل هيدجر، فصل سارتر بين الوعي وبين الموضوع وأقام أنطولوجيا على أساس القصد الظاهراتي، فموضوع الوعي عنده موضوع أصيل لا يرد إلى عناصره ، والظاهرة في ذاتها ما يبدو للوجود الواعي ، والمعرفة تأتي من فعل الوجود بممارسة الوجود(الحفني ، د.ت، 201-203).

وقد استطاع سارتر أن يضفي في غضون فلسفته معنى جديد على لفظ الوجود يخالف معناه عند هيدجر- الذي يرى أن الإنسان موجود بقدر ما هو مهتم بالعالم (علي و القفاش ، 2001 ، 133). وكان سارتر مخالفا لمحاولة هيدجر لوضع تصور للذاتية إلا أنه ليس مستخفًا بأنطولوجية هيدجر وتصوره لأهمية الجماعةفي تحديد المصير الذاتي ، والفردية (Buchan, 1996, 199). وإن كان سارتر يربفي الذاتية الحقيقة الأولى إلا أن فردية سارتر أقل من فردية "ديكارت وكانط" فعند سارتر لا يكتشف الإنسان في هذه الحقيقة الأولى وجوده الفردي وحده ، بل يكتشف معه وجود الآخرين(القصاص ، 1967 ، 19). فنقطة البداية عند سارتر هي الفرد وأن اهتمامه بالذاتية والفرد لا يلغي وجود الآخرين.

هذا وقد اختلف سارتر مع هيدجر بشأن علاقتهما بالسلطة والجمهورففي الوقت الذي كان فيه هيدجر يؤيد هتلر بأقوال صريحة وعبارات واضحةفي بدء ونهاية محاضراته... كانت نظرة سارتر للسلطة مخالفة بشكل كبير، إذ يرى سارتر أن السلطة قوة مغتربة من سيادة عليا ، وبنفس الطريقة المعتقد معرفة مغتربة وطاعة للقيادة (Thomas,n.d. , 460). ولهذا قد يرجع شعور سارتر أن بداخله شيء ما مضاد ومقاوم للسلطة .

ويرى "عبد الرحمن بدوي": أن لسارتر فضل توكيد أو استخلاص بعض جوانب الفلسفة الوجودية عند هيدجر وإبرازها في تحليلات دقيقة عميقة أو صور مسرحية شديدة التأثير. وإلى جانب ذلك زاد عليه في مواطن عديدة واستخرج لنفسه وجهات نظر جديدة فكان له الفضل في إكمال بناء المذهب الوجودي (بدوي ، 1980، 26).

وقد وافق تراث هيجل الفلسفي لسارتر عندما تبين أن الوعي الذاتي هو "حق تقرير المصير" ، حيث الوعي الذاتي راسخ في العالم ، وقال أن محاولة التوفيق بين الاثنين هو ما أعطى الوجود والعدم أهمية كبيرة (Buchan, 1996, 195). هذا واستمدت الوجودية عموما من فلسفة هيجل جانب مهم في فهم العلاقة بين الفرد والغير وتأثر سارتر بمفهوم هـيجل عن الحقيقة (Lecherbonnier, 1972, 15-16) وهنا نلحظ أن الوجودية لا تضحى بالوجود الفردي في سبيل تجسيم جماعي ، وهي لا تلغي وجود الأخير، إلا أن نقطة البداية هنا هي الفرد من أجل الانطلاق لتكوين جماعي ولا يمكن اجتياز الفرد والتضحية به مهما كانت الأسباب. من ثم كانت فلسفة هيجل منهلا وأساسًا كبيراً لفكر سارتر، كما كان سارتر سببَا عظيمًا في إحياء بعض الأفكار الهيجلية. وتأثر سارتر بفكر هوسرل

خاصة ما يتعلق بالمنهج الفينومينولوجي ، وهدفه الأول هو استعادة حقيقة الموضوع للظواهر بدلا من إرجاعها إلى ظواهر نفسية. وفي هذا المنهج لا يفرق بين خارج وداخل في الموجود فهذه الطبيعة لا وجود لها بل وجود الموجود هو ما يظهر عليه(بدوي ، 1980، 265).

فكان سارتر يتمنى أن يتحدث عن الأشياء كما لو كان يلمسها وأن يكون حديثه عنها فلسفة ...لذا سافر إلى برلين لدراسة هوسرل(الحفني ، د.ت، 195).وقدم سارتر كتابه الأول عن الخيال بشكل جديد وطرح فيه الفارق بين موقف هوسرل والموقف التقليدي الشائع وما أراد من خلال أفكاره في هذا الكتاب أن يقدم الفلسفة الظاهرياتية إلى المفكرين والمثقفين الفرنسيين (الديدى ، 1971 ، 152).والبحث في الوجود على أساس هذا المنهج ينقسم إلى قسمين الوجود في ذاته ، والوجود لذاته ...يرفض سارتر الوجود الأول ويقر الوجود لذاته ، لذا الإنسان يوجد في نظر سارتر دائمًا خارج ذاته ... وعلو الإنسان على نفسه بخروجه عن ذاته لتحقيق إمكانيات خارج نطاقها وهذا ما يسميه سارتر باسم النزعة الإنسانية(بدوى ، 1980 ، 266). وإذا كان الشاغل الأساسي لسارتر محاولة استكشاف وحل التوترات بين وعى الذات الإنسانية وموقعها من الوجود ، واتضح ذلك في كتاباته عن الطبيعة والذات الإنسانية الأصيلة ، فقد ورثها من قراءته عن هوسرل وهيدجر وهيجل (Buchan, 1996, 194). هذا ويتضح من قراءة سارتر لهوسرل وتأثره به من اشتراكهما في البحث عن الذات الإنسانية الأصيلة ، وإن كان سارتر قد تجاوز بعض الأفكار عن هوسرل.

كما أخذ سـارتر عن الماركسية واختلف معها في نقطتين جوهريتين يؤكد عليهما سارتر وهما:

أولا: أن الفرد يخضع لمقومات العلم شأنه شأن الجماعة تمامًا .

ثانيا: أن المعنويات مجال حقيقي في الفرد والجماعة على السواء. كما عارض سارتر ماركس من حيث طبيعة الجدل من ناحية ومن حيث النسق المتكامل في المذهب من ناحية أخرى (الديدى ، 1971 ، 155-156).

خلص سارتر إلى أن المادية مذهب ميتافيزيقي وأن الماديين ليسوا أكثر من ميتافيزقيين... وأنه ما من ماركسي معاصر على استعداد أن ينبئنا لماذا يقبل التفسير المادي للطبيعة والتاريخ , إنه لا يفعل أكثر من قبوله فحسب. في حين يحتج سارتر بأن الفلسفة ينبغي أن تكون أكثر من أسطورة إنها يجب أن تكون صادقة ، وأن للإرادة والوعي الإنساني مهمة صنع التاريخ(سارتر ، 1977 ، 6 -40) ومن هنا كان تركيز الفلسفة الوجودية على الجانب الوجداني والانفعالي في الإنسان بالإضافة إلى الجانب العقلي.

بعد مرور سارتر بخبرة الحرب والاحتلال اتضح أنه تقبل بعض الأفكار الماركسية. ويبدو أن أحد نقاط التقاء سارتر بالماركسية نظرته للوعي وانقسامه إلى وعي متجه لذاته (وجود لذاته) ووعي متجه للموضوعات (وجود في ذاته)

حيث وجود الموضوعات الخارجية مستقل عن الذات العارفة ، إلا أن "الحفني" يرى انفراق بينهما(سارتر وماركس) ففي حين يكون وجود الأنا والموضوعات متساو عند سارتر ، نجد أن وجود الموضوعات يعلو على وجود الأنا عند ماركس (الحفني د.ت، 205).ويبدو أن سارتر قد دخل بوابة الفكر الماركسي من خلال كتابه "نقد العقل الجدلي" فقد استعمل أدوات الماركسيين التحليلية ، وشارك في انفعالهم الضروري تجاه الحدث ، ورفض النظرة اللاهوتية للديالكتيك ، وفضل المجتمع الديمقراطي المتحرر (مردوخ ، د.ت ، 5-6). وسارتر بذلك لم يقلل من شأن الفكر الماركسي لكنه سعى لنقد هذا الفكر محاولا تقويمه واستعان ببعضه.

وقد اعتمد "باولوفرير" المفكر المعروف على وجودية سارتر وكذا الماركسية في تحديد طبيعة الصراع القائم: "ففي مزيج بين الماركسية والوجودية حدد باولوفرير الصراع الاجتماعي الجدلي بين المقهورين والقاهريين" (Dale, 2004, 125). إن دراسة سارتر للفكر الفلسفي القديم والحديث بشكل نقدي جعله يتفق ويختلف باقتدار مع بعض الأفكار وأضاف إليها ، فأثرى مبادئه وأفكاره الوجودية بشكل واضح. وعبرت عنها كتاباته ومؤلفاته الفلسفية والأدبية عبر مراحل تطوره الفكري. وصارت وجودية سارتر علامة مميزة له على مر العصور.

3-مراحل تطوره الفكري:

باستقراء الأدبيات المتعلقة بحياة وفكر سارتر وجد أنه مر بأربع مراحل رئيسة في تطوره الفكري العام ، وتطور خلالها فكر المقاومة لديه . ولا يعني تحديد تلك المراحل الانفصال التام بين كل مرحلة والتي تليها ، لكن اللجوء لهذا الأمر لمحاولة الكشف عن ما يميز كل مرحلة عن الأخرى في إطار فكري متماسك عبر عنه سارتر كمفكر وجودي يمجد الحرية الفردية ويركز على الذات الإنسانية ويتجاوز كل أفكار مسبقة .

وغيرها من أفكار شكلت في مجملها وجودية "سارتر"كما يلي:

المرحلة الأولى اتسمت بالسيكولوجية الظاهرياتية والبدايات الفلسفية ومعايشة المقاومة:-

تساءل سارتر خلال تلك المرحلة عن الحرية ككاتب وفيلسوف ، وكان فيها سيكولوجياَ ظاهر ياتياَ، فنشر كتابه الفلسفي الأول"الخيال 1936" ، وفيه درس طبيعة الخيال والصورة الخيالية ، وانتقد ما قبله من نظريات وخاصة الفلسفة البرجسونية (الحفني ،د.ت ، 197).. وعايش في تلك المرحلة الدمار الذي أحدثته الحرب واشترك في مقاومة المحتل النازي وكتب عن المقاومة ، وجاءت مسرحية الذبابفي نهاية هذه المرحلة لتسجل ما كانت تحدثه الحرب العالمية الثانية من دمار وتعذيب وأسر لحرية الإنسان ، وقد قدمها سارتر تعزيزاً لحركات المقاومة بمنطقه وفكره الوجودي المتمحور حول فكرة الحرية.

مرحلة تجسيد لأفكاره الأنطولوجية من خلال بعض أعماله القصصية والمسرحية ذات الطابع المقاوم الحر:-

مر بها سارتر كاتبا من 1945 إلى 1951, وتأكدت "المقاومة" لديه بوقوفه صراحة مع الصراع الطبقي وطبقة البروليتاريا خاصة ، إذ أن انتماء سارتر السياسي كان يساريا. كما اتخذت هذه المرحلة طابعًا أنطولوجياَ حيث انتقل من دراسة الموضوع المتخيل إلى دراسة الوجود والعدم ، وفي العام 1943 صدر كتابه عن "الوجود والعدم" (الحفني ، د.ت ،198). أصدر سارتر خلال تلك المرحلة عديد من الروايات كدروب الحرية والمسرحيات "موتى بلا قبور" , و"البغى الفاضلة" والمسرحية العالمية "الأيدي القذرة" وكتابه عن "بودلير" والجزء الأول من "مواقف" وبحثه عن "الوجودية نزعة إنسانية" بالإضافة إلى كتاب "الإنسان"وبانتهاء هذه المرحلة تختفي الأخلاق النظرية لتأخذ شكل براكسيس أو ممارسة عينية واعية للموقف وضروراته (الديدى ، 1971 ، 76-100). ويرى البعض أن سارتر في المراحل الفلسفية الأولى والتي كتب فيها "الوجود والعدم"1943 فهم المسرح على أنه حالة صراع بين الحقوق في موقف يصور المشكلة في شكل أسطوري لكي يواجه المتفرجون واقعهم ومسئولياتهم (أسعد ، 1987 ، 246). وهذا الحث على المسئولية ومواجهة الواقع وتحمل عبء تحديد المصير ؛ سيتطلب بالضرورة المقاومة لكل ما يحول دون تحقيق ذلك.

مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ومساندة حركات المقاومة لمناهضة الاعتداء على الحريات في العالم:-

في تلك المرحلة استمر مناهضا لسياسة الضغط والقوة ، ولسياسات الاحتلال في كل أرجاء العالم ، وبدأت هذه المرحلة بعلامة واضحة في تطوره الأدبي بظهور مسرحية "الشيطان والرب الرحيم"، وتعد هذه المسرحية ذات مغزى خاص في حياة سارتر فهي مسرحية جادة وهادفة ، وتحرص على إبراز الأخلاق والسياسة في شكل أكثر إنسانية (الديدى ، 1971 ، 99). وفي هذه المرحلة التي تلت الحرب انشغل سارتر بمعالجة بعض القضايا التي خلفها المحتل وتداعياتها كالقلق على مصير الإنسان والظلم الذي يحيق بمصير الضعفاء في هذا العالم وغيرها من القضايا التي شغلت الكثير من المفكرين آنذاك.

مرحلة استكمال المشروع الفلسفي ودعم فكر وفعل المقاومة:-

حيث استمر سارتر في مناصرة حركات التحرير في العالم كله حتى وفاته وخلال تلك المرحلة قاوم سارتر كل مظاهر الاستبداد والقهر ، وهاجم بقلمه كل محتل أينما وجد: "في الحقيقة كان سارتر دائمًا يعترف أن بداخله شيء ما مضاد لما هو سلطوي ، لذا فهو يرى أن العلاقة الحقيقية بين الناس هي علاقة تبادلية - باستثناء العلاقة التي تقود للسيطرة - والتي قيل عنها المساواة المثالية. فالمثل الأعلى الذي يلهم سياسات سارتر ونظريته في المعرفة هو تصور رأسي كمستويات التسلسل الهرمي ، وتصور أفقي كتحقيق تبادلية إيجابية" (Thomas, n.d. ,456-458).

فسارتر إذن رجل لا يقف أمام أو وراء أية سلطة سياسية ، ولم يكن يوما ذا رغبة في استرضاء إحدى السلطات ، واستند إلى شيء واحد فقط هو قلمه... فكان أحد أعلام هذا العصر. فكانت تلك الأمور بمثابة أفعال مقاومة وصمود ودفاع عن فكره تجاه إرادات إنسانية أخرى. وتتحدد هذه المرحلة ببعض العوامل الرئيسة:

استكمال الدور السياسي لمناصرة الثورة الجزائرية ضد المستعمرين.

تأثره بماركس في إطار فكرته عن العلاقة الفرد/ الجماعة.

التشكيل الفلسفي لقوام الوجودية وكيانها النهائي.

وفي هذه المرحلة حلت جدلية الإنسان/ العالم محل المواجهة التي تؤدي إلى الصراع حول الحقوق. تلك المرحلة التي كتب في بدايتها(1960) "نقد العقل الجدلي"(أسعد ، 1987 ، 246) وفي تطور سارتر الفكري يقول "فؤاد زكريا": أن الطابع الفردي كان هو السائد في فكر سارتر خلال مراحله الأولى ...وبلغ الأمر بالنزعة الفردية لديه حدا جعله يرى أن "الجحيم هو الآخر"...إلا أن أمانة سارتر الفكرية جعلته يزداد وعيا في مراحل فكره المتأخرة بأن مفاهيم "الحرية والمسئولية ، والاختيار" لا تعني شيئا بدون السياق الاجتماعي الذي تقال فيه...وبزيادة هذا الوعي بالأبعاد الاجتماعية للشخصية الإنسانية أن إزداد اقترابًا من الماركسية (زكريا ، 2010 ، 192-193). باستقراء مراحل حياة سارتر ومعاركه الفكرية نجده كان متفردًا في علاقته بالسلطة وبالجماهير

فلم يلجأ إلا لقلمه وكما يقول "القصاص": "فهو لا يلجأ إلى تملق طبقة من الطبقات ، ولا إلى الجري وراء الجماهير ، والطوائف والأحزاب لينال من ورائهم غنما ماديا أو نجاحا أدبيا زائفا ، إنما يقوم نجاحه على قوة مبادئه ونفاذها ، وعلى حدة آرائه وتغلغلها في صميم الحياة الإنسانية حتى اليومية منها"(القصاص ، 1967 ،11) فكان سارتر صاحب قلم يخدم فكره وفلسفته وأدبه، فعبر عنه وعن ملايين البشر في القرن العشرين. وعبر بمواقفه هذه عن الإنسان المقاوم لسلبيات الواقع ولرموز السلطة المستبدة في عصره.

4- مكانته الأدبية والفلسفية:

من أبرز الأسماء التي أسهمت في صياغة القرن العشرين وصياغة وجدان أجيال ممن قرأوا له.

مفكر مبدع متنوع في الأدب والفلسفة ، والرواية والمسرح ، وفي السياسة والصحافة وفكر المقاومة.

ساهم بشكل كبير في الفكر الثقافي الذي دار في فلكه المثقفون في العالم إبان الحرب العالمية وبعدها على مدى الحرب الباردة.

كانت له معاركه الأدبية والفكرية خاصة مع "ألبير كامو" وكانت تلك المعارك شهادة على ثقافة عصره. بل كان صانع ومنسق "مايسترو" لفكر عصره حيث نطالع مسرح الحياة على صفحات كتاباته(أرونسون ، 2006 ، 2).

أحد المعبرين بصدق عن الحياة الفكرية الفرنسية خاصة في ما بعد الحرب العالمية. وأصبح من أشهر كتاب فرنسا على الإطلاق مع تحول الوجودية عقب الحرب إلى حالة من الهوس الثقافي (أرونسون ، 2006، 8-9).

قيل عنه كان حدثًا فريدًا لتفكير الإنسانية برمتها... فكان مثال للتمرد الحقيقي الأصيل ضد الخطأ والحماقة وكل ما يقتل مواهبه ويصد كل تقدم(الديدى ، 1971 ، 1). فالقرن العشرون بلا منازع قرن سارتر... فلم يترك مفكر بصماته على أحد القرون مثلما فعل سارتر. ويعنى ذلك أنه كان أحد أسباب ما حدث في هذا القرن من قلاقل واضطرابات وثورات فكرية وتحولات اجتماعية وتجمعات طلابية وسياسية. فقد شرع في تحديد دور المثقف في التاريخ... فأمكنه من أن يضع لنفسه عددًا من المبادئ الهامة ويعلن عن مجموعة من الأهداف السياسية تعمل كقوة ثالثة للتعايش السلمي والتفاهم من أجل دعم السلام... بدلا من أن يكون العالم منقسما بين إمبراطورية الخير وإمبراطورية الشر. (الديدى ، 1971 ، 5) ذلك الفكر الذي استمر كثيراً وسيطر على مقدرات العالم أجمع. وهذا ما دفع سارتر نحو إرساء قضية السلام العالمي والدفاع عن المضطهدين في كل مكان في العالم.

صاحب جائزة نوبل للآداب 1964 إلا أنه رفضها ، واعتبرها أحد أدوات الحرب الباردة واستغلال موقفه ضد الشيوعية. أنها قصة الصراع بين السياسة والأخلاق تلك القضية القديمة الحديثة حيث الصراع بين متغيرات السياسة وثوابت الأخلاق ، تقاسم فيها سارتر مواقف مثقفي العالم كثير من الإشكاليات منها: نكون مع السياسة والوسيلة أم مع الأخلاق والمبادئ.. كذلك قضية المثقف والكاتب الملتزم ، ومعنى الالتزام ، ومسؤولية الإنسان عن اختياراته ، وغيرها من القضايا التي ما زالت معلقة وتخص كل العالم هنا وهناك فهي أيضًا قصتنافلا نزال نعيش هذه التوترات ، إذ لا تزال هذه هي قضايا ثقافة العصر.. أنها دراما الإنسان الملتزم في توتره بين الغاية والوسيلة (أرونسون ، 2006، 3). هذا الإنسان الذي تقع مهمة صناعته على التربية بإكسابه منظومة قيم مربية يهتدي بها طوال حياته وتدعم لديه ثقافة المقاومة وتحقق وعيه. والمسرح أحد الوسائط والفعاليات التربوية التي تسهم في هذا البناء.

الفصل الثالث

أسس ومرتكزات فلسفة تربية المقاومة لدى سارتر.

أولا: وجودية سارتر(السارترية).

ثانيا: سارتر وحرية الإنسان.

ثالثا: فكر المقاومة لدى سارتر.

رابعا: سارتر وقضية الالتزام والفعل المقاوم.

خامسا: أخلاق المقاومة عند سارتر وكيف تكتسب بالتربية.

يناقش هذا الفصل أهم الملامح الأساسية التي تمثل الأسس والمرتكزات لتربية المقاومة لدى سارتر. والتي تم مناقشتها في إطار"وجودية سارتر- مفهوم سارتر عن الحرية والإنسان - سارتر وقضية الالتزام - فكر المقاومة عند سارتر- المعيار الأخلاقي".

أهم الملامح الأساسية التي تمثل الأسس والمرتكزات "لتربية المقاومة" لدى سارتر:-

انشغل سارتر بعديد من قضايا عصره إلا أن القضية الرئيسة التي كانت تدور في محورها كل القضايا في فكر سارتر هي:"كيف ينخرط المرء عن أصالة وثقة في العالم التاريخي الواقعي"(أرونسون ، 2006 ، 130-131). وقد اتضح ذلك من خلال فلسفته والملامح الأساسية لفكره كما جسدها شخصيات مسرحياته كأورست في الذباب.

أولا: وجودية سارتر(السارترية).

اهتز العالم أجمع لمولد وجودية سارتر خاصة بعد أن تخطت مبادئها وأصولها نطاق الفلسفة إلى نطاق التجربة والتطبيق الاجتماعيين... إذ صار اسم الوجودية محدودا بالنسبة إلى السارترية في موقفها الجديد الأعم كنظرية معرفة أخلاقية عن المجموعات تضم الماركسية بين طياتها وتزيد عليها. وإذا كان هناك وجودية محدودة ووجودية عامة ، فالوجودية العامة هي السارترية بالمعنى المفهوم اليوم في عالم الفلسفة والفكر (الديدى ، 1971 ، 26). فسارتر قد انطلق في الأساس من الفكر الوجودي وأضاف إليه فكره وتصوراته الخاصة. هذا وذهاب سارتر للبحث في الماضي البعيد لا لكي يقف عنده وإنما ليجد فيه العبرة أو أن يجد فيه تفسير لما تبعه من أحداث , فقصة أصل وجود الإنسان حددت الرغبة لديهفي الكتابة (Couprie, 1996, 56).

يرى الديدي أن السارترية ولدت بالضرورة وجودية إذ حققت لها هذه الولادة ارتباطها بالحياة والإنسان وبنظرية العلوم والاجتماع وبالفلسفة وبالتقدم وبعامة الناس على وجه الخصوص. فكانت أول فلسفة تمثل روح العصر وتواصل تيار الفكر الاشتراكي وتتخطى عوامل التخلف والجمود وتعين على تدعيم الثورية المعاصرة وتحافظ أساسا على معنى الحقيقة الإنسانية والحقيقة المعرفية الخالية من أغراض التحزب والانتفاع والتواطؤ أو التغاضي الطائفي (الديدى ، 1971 ، 27).

وقد استطاع سارتر من خلال إدارته لمجلة العصور الحديثة أن يجعل منها منبرا عالميا عاليا في وقت وجيز. وأن يتكلم عن الفلسفة الوجودية في كل مكان وتعاون معه في تلك المجلة "سيمون دي بوفوار" ، و "موريس ميرلو بونتي" المدير السياسي للمجلة ، حيث أصدر عام 1946 محاضرته المشهورة عن الوجودية نزعة إنسانية(الديدي ، 1971 ، 28). أخذ سارتر في اعتباره أن الأفكار مرهونة بلحظتها الزمنية وحرص بالتالي على أن يترك نسقه الفكري مفتوح الجوانب قابلا للزيادة والإضافة والتغيير والتبديل والتطور والنماء. ومن هنا صارت نسقية سارتر ظاهرة عصرية جديرة بالالتفات (Couprie, 1996, 56). فقد تكون تلك السمة في فلسفة سارتر التي أضفت صفة العصرية والاستمرارية والتجدد لتلك الفلسفة والتي لم تنلها أي فلسفة من قبل.

وقد أثر يتم سارتر مبكرا على فكره ونظرته لنفسه وللإنسان وكان يتمه هذا جعله ينظر للناس جميعًا على أنهم أيتام وأن الناس متروكون ومهجورون في هذا العالم. وأن دور السارترية نقدي إيجابي نحو معرفة الإنسان ، وفضلا عن ذلك تسعى السارترية إلى تأكيد نوعية الحدث التاريخي إنها تسعى إلى إرجاع وظيفته وأبعاده العديدة إليه (الديدى ، 1971 ، 31 -34).

كما أن منهج البحث السارتري وصف بأنه "منهجًا ارتداديًا تقدميًا تحليليًا تركيبيًا. فهو منهج ذهاب وإياب يستمر في التزايد والوفرة بين الموضوع (الذي يشمل العصر كدلالات متدرجة) والعصر (الذي يضم الموضوع في شموله)"(الديدى ، 1971 ، 37).

وفي أعمال سارتر التي حاول فيها محاولة المصالحة بين الوجودية والماركسية يعيد سارتر فحص أنواع أساسية عن التجربة الإنسانية ليصل إلى فهم الإنسان ففي الحين الذي يوفره لنا النقد الحديث من أمور هامة ، إلا أنه يتركنا أيضًا في وضع غير مقبول يفتقر إلى مبرر قوى للأحكام الأخلاقية والأحداث السياسية وغير قادر على التعميم حول التجربة الإنسانية... إلا أن أي إنسانية جديدة يجب أن تأخذ في الاعتبار نقد صحيح للإنسانية الماضية تقوم على أمور عدة فيها فهم المصير الإنساني المشترك الذي لا يتجاهل أي اختلاف (Butterfield, 2004, 290) وتتضمن عناصر المصير الإنساني المشترك إعادة التفكير في علاقة الفرد والمجتمع والنظرة على الدستور الاجتماعي للفرد ، ونظرة جديدة لفهم الحرية والضرورةفي التجربة الإنسانية وإعادة النظر في الهويات الاجتماعية... وبعدها نرى ما هي المشكلات التي تظل متأصلة في العلاقات الإنسانية وما هي الاحتمالات؟ هل قدر لنا مناوبة ومحايدة التفاعلات مع الآخرين أم أن الحب والتعاون هما أصيلان ومحتملان أيضا؟ (Butterfield, 2004, 294)."

والإنسان كائن ذو دلالة بالنسبة إلى نفسه وبالنسبة إلى الآخرين ، وهو خالق علامات ورموز حيث يسبق نفسه دائما حين يستخدم أشياء معينة ليشير بها إلى أشياء غائبة أو مستقلة... إن كل شيء له معنى في كل لحظة وتكشف لنا الدلالات الناس والعلاقات القائمة بين الناس خلال أبنية مجتمعنا ولكن هذه الدلالات لا تظهر لنا إلا بمقدار ما نكون نحن أنفسنا قادرين على الدلالة وعلى إعطاء المعنى (الديدى ، 1971 ، 38 - 39). إن الوجودية بجميع مدارسها تقوم على فكرة أن الوجود متقدم على الماهية ، ويترتب على ذلك مسئولية الإنسان التامة عن مصيره ، ومصير الإنسانية جمعاء ؛ لأنه إذ يختار لنفسه يختار للناس أجمعين. وكذا يكون الإنسان في قلق دائم ، لأنه عندما يختار لنفسه يشرع للناس أجمعين من ثم لا يستطيع الفرار من المسؤولية (سارتر ، 1967 ، 15).

ويرى سارتر أن الإنسان هو الكائن الذي يكون دائمًا أكبر من نفسه فهو الكائن الذي لا يكون على ما هو عليه ولا يكون إلا ما ليس بنفسه. ويعترض هيدجر على هذا التعريف ويعارضه على أساس أن هذا التعريف فيه تجريد وفيه تحديد مسبق لطبيعة الإنسان في حين أن الإنسان لا يكون سوى وجوده (الديدى ، 1971 ، 113). وكأن هيدجر يقرر أن سارتر تناقض مع نفسه في تلك النقطة لأن سارتر ينكر وجود طبيعة للإنسان" (خضر ، 1998، 340).

إن الفلسفة الوجودية على اختلاف اتجاهاتها قد اتخذت من الإنسان هدفًا للدراسة وتلك سمة أصيلة تميز الوجودية عن غيرها من الفلسفات الكبرى , فوجود الإنسان في العالم وما يعترض هذا الوجود من قلق ، وهم ، واغتراب ، هو العامل المشترك بين تلك الفلسفات. ومن مبادئ الوجوديين العامة أن الوجود سابق على الماهية ، وهذا فارق عام بينهم وبين ما سبقهم من الفلاسفة. وقد عبر "الديدى" عن الوجودية بأنها "فلسفة ديناميكية ترمى إلى تنمية الواقع وإثرائه وتطويره... وهي الفلسفة التي تضع الوجود الفردي مع كل حقيقة أخرى وتفترض الكيان الفردي كأساس مبدئي لتفسير كل مظاهر الموجودات الماثلة. أو لعلها لا تفسر شيئًا بقدر ما تسعى لتقرير وضع حقيقي قائم وهو أن الوجود الذاتي هو أغلى وأثمن جوهر داخل إطار الإنسانية وفي معاشنا الأرضي"(الديدى ، 1971 ، 7). فالوجودية فلسفة إنسانية ديناميكية ترتبط بالواقع وتسعى إلى تطويره. وقد قنع بها كثير من رواد الفكر العالمي والعربي كتوفيق الحكيم والعقاد وغيرهم ، إذ كان لها حضور عربي واضح خاصة في فترة حياة سارتر.

ثانيا:سارتر وحرية الإنسان(تحتاج عمق بربطها بالمقاومة)

ثلاثية "الوعي – الحرية- المسئولية".

عندما يقرر سارتر الحرية نجدها مرتبطة بشكل واضح بالوعي بل يراها هي نفسها وعي ، ولا حرية دون تحمل مسئولية الاختيار الحر ، وتلك الأمور تمثل مضامين وأهداف تربوية كبيرة يقع مسئولية تحقيقها على عاتق التربية إذ منوط بها تحقيق إنسانية الإنسان.

يقول سارتر لتكون حرَا ، تكون حرَا في الاختيار ، فالحرية بالنسبة لسارتر تعنى اختيار الهدف الذي يصبح إطارا مرجعيا نفسر به العالم من حولنا. ولكن هذا الهدف لا يمكن أن يكون موجودا إلا في العالم الواقعي. وهذه الحالة للحرية هي التي تجعلها ممكنه (Buchan, 1996, 199). وقد حدد (Jiang1995) مفهوم الاختيار الحر لدى سارتر من خلال تحليله لمسرحياته في أربعة جوانب هي الحتمية والحقيقة المطلقة ، والنبل والعدالة ، والنشاط والمادية ، الآلام أو المعاناة مع الاختيار(Song, 2007, 293).

عندما أراد سارتر البحث عن الاختيار الأصيل الذي يرشد الإنسان إلى الهدف الأساسي لوجوده ، فهو يسعى إلى الأمر الذي يجعل من الإنسان كائنا متفردا. أى أنه وصف الرجل الذي يعنى بالمقارنة مع الآخرين بأنه ليس إنسان حق (Goff, W.D., 372).

كما يعنى سارتر بالاختيار الحر Free Choice بأن الحياةلا يوجد لديها معنى متسام وأنه يتطلب أن يمنح الإنسان معنى بواسطةعمله خلال الاختيار الحر. فلا يوجد إنسان يولد بطلا أو جبانا لكنه نتيجة لما يملك من اختيار. وسارتر دائمًا يأخذ الحرية الفردية كنقطة انطلاق لرحلة الحرية (Song, 2007, 289).

الإنسان في نظر سارتر قيمة مطلقة من حيث هو حرية ، ووجود الإنسان هو حريته في الاختيار والحرية هي وجود الإنسان. ولا وجود للحرية إلا في موقف ولكن لا يمكن أن يوجد الموقف بغير الحرية. ولهذا لا يمكن أن تبعث أية حقيقة سابقة على تأسيس الاختيار (الديدى ، 1971 ، 56). ويقول سارتر "إنني مدان أن أكون حرَا" لكن هذه الحرية التي يدان بها الموجود البشرى لا يعيها ولا يدركها إلا ويصاب بالقلق. فالقلق هو شعور مقترن بإدراك الوعي لحريته أو أن القلق هو كيفية وجود الحرية الواعية بوجودها. وهذا هو ما يعنيه سارتر بقوله "في القلق يثار أشكال وجود الحرية بالنسبة لذاتها" (سارتر ، د.ت ، 122).

ويرى الشاروني أن سارتر ربط بين الحرية ووعى الإنسان ، فالحرية السارترية تريد الإنسان حرا لأن يختار أي سلوك يحدد به ماهيته ، وتريده في نفس الوقت ملزمًا على أن يمارس هذه الحرية ليخلق ماهيته الخاصة دون أن يجدأمامه سلسلة من القيم أو الأنظمة تستطيع تبرير سلوكه فهو وحيد ليس أمامه أو وراءه في مجال القيم غير مبررات أو أعذار...

ومع ذلك فهو مسئول عن كل ما يفعل لمجرد ارتمائه في العالم" (الشارونى ، 1963 ، 125). فيقرر سارتر مسئولية الفرد المطلقة عن كل أفعاله بالرغم من النظام الخارجي والظروف الوشيكة(Minahen, 1991, 529). وهنا قد يظهر تناقض إذ كيف يكون الإنسان مسئولا ويستشعر قيمة المسئولية والالتزام وكذلك فعل الاختيار ويخلق ماهيته ، في نفس الوقت في حاجة إلى التحرر من القيم والمعايير الأخلاقية لمجرد أنها تمثل أعذار ومبررات حتى يحقق ما سبق؟

وتتدخل المسئولية في العمل الأخلاقي الوجودي تدخلا حاسمًا وأن الوعي والحرية يعطيان معًا وجنبًا إلى جنب معنى للإنسان ولا يمكن أن يدرك الإنسان معنى ذلك إلا إذا شهد كما شهد سارتر مأساة الحرب بصورتها البشعة الأليمة (الديدى ، 1971 ، 57). الحرية قرينة كل وعى إنساني ، فالوعي الإنساني هو نفسه الحرية(الديدى ، 1971 ، 64). أنطولوجيا يرى سارتر الوعي على أنه إدراك لمسألة الوجود لأن الوعي لا يتحد مع ذاته ولم يدعى أو يقول سارتر الوجود في ذاته... وأن الوعي دائما مبرزا لذاته... ومتجاوزا للأوضاع الموجودة (Sartre, 1956, 24). وقد تساءل سارتر في مرحلته الأولى ككاتب وفيلسوف بعد سنة 1938 عن معنى الحرية التي كان يؤكدها في كل لحظة. لابد من الحرية ـ هكذا قال ـ ولكن لماذا؟ ماذا نفعل بهذه الحرية؟ (الديدى ، 1971 ، 64).

الحرية في نظام سارتر الفلسفي ، لا توجد كنقطة بداية فقط ، بل توجد على المستوى الأخلاقي أيضا ، كهدف يجب الوصول إليه ولا يكفي الإنسان أن يكون حرا،بل يجب أن يتحمل مسؤولية حريته(أسعد ، 1987 ، 247).

فالحديث المجرد عن الحرية لا معنى له ، فالحرية ترتبط بكل ما هو عياني فيقول سارتر: "ولما كان الإنسان محكوما عليه أن يكون حرا فإنه يحمل على عاتقه عبء العالم كله أنه مسئول عن نفسه بوصفه حالة وجود , فكل شيء يجرى إذن كما لو كنت مرغما على أن أكون مسئولا" (الصباغ ، 1981 ، 224-225). وقد اتضح مفهوم سارتر للحرية أثناء الاحتلال ، حيث استطاع أن يقرب الحرية من القدر لأن الإنسان ، كما قال في "الوجود والعدم" ، محكوم عليه بالحرية فالحرية قدرة حتى عندما يتخلى عنها ، يفعل ذلك بحرية(أسعد ، 1987 ، 247).

يقول سارتر:"إنني أفقد ملكيتي لكلماتي بمجرد أن أتكلم كما تفقد هذه الكلمات انتماءها إلى ولن يعود بوسعي أن أتحكم في مسارها بعد أن أتفوه بها" وهذا هو ما حدا بسارتر إلى قوله أن الإنسان حينما يحاول التواصل مع الآخرين أو حتى بمجرد أن يصبح مرئيا أو مسموعا من سواه يفقد جزءا من ذاته ليصبح هذا الجزء منتميا إلى سواه... "إنني حين أتكلم لن أصبح نفسي بل سأغدو الآخر بالنسبة لك وسوف تغدو الآخر بالنسبة لى... أن وجود الآخر هو الذي يجعلنا نتحول دائما إلى موضوعات ،

بعد أن كان كل منا ذات" (Lecherbonnier, 1972, 15) ويتضح من حديث سارتر في مواضع كثيرة أن حرية الفرد عنده ليس لها من معنى إلا في حدود اعتداد الفرد بحرية الآخر وهذا ينطوي على مضمون تربوي مهم.

لذا يقول وجود الآخرين هو الذي يسلبنا حريتنا الكاملة إلا أنه الذي يعطى المعنى لحريتنا ، ويستخدم مصطلح الغيرية "autrui" للدلالة على ذلك (دي كرستى ميونج ، ب.ت. ، 102).

ويؤكد سارتر أن الحقيقة هي التي تصنع إنسانا حرا ويؤكد معه أيضًا سان جون St.John ذلك من خلال تأكيدهما على الحقيقة التي يتم ممارستها وليست الحرية النظرية... فيقول سارتر أنا أرغب في الحقيقة لأنني ثوري بطبيعة الحال(Thomas, 462, w.d).

إلا أن الإنسان عليه أن يدرك الحرية هي نفسها الوعي الذي يلازم وجوده ويقترن بكل أوجه معاشه. تلك هي الرسالة والفعل الذي أراد سارتر أن يقدمها إلى الإنسان بربطه تحقيق الإنسان لوجوده ووعيه بقدر تحقيقه لحرية نفسه.

ثالثا: فكر المقاومة لدى سارتر:

إن المقاومة كفكر وفعل قد ارتبطت بحياة الإنسان منذ وجوده في هذا الكون فهو يفكر بشكل فطري كيف يقاوم الظروف البيئية والحيوانات المفترسة والكوارث الطبيعية وغيرها عبر العصور المختلفة. وعلى مستوى العلاقات الدولية تطرح مسألة المقاومة /الخضوع الاستسلام وتحت مسميات متنوعة طبقًا لقناعات كل طرف. وعلى المستوى الشخصي تأصلت مقاومة الإنسان فيزيقيَا وانفعاليَا وسياسيَا فقد يقاوم خطر ما يحيق به ، كأن يدفع عن نفسه أذى الآخرين بكل أشكاله ، ويدافع عن وجوده ضد تهديدهم. ويقاوم وقت الحرب والطغيان على الوطن ، فيتم طرح خيار المقاومة كعمل مشروع ضد أي عدوان يستهدف حرية إنسان أو وطن أو شعب ما. وتظل المقاومة حق لكل إنسان ولكل دولة لدفع ظلم أو طغيان وقهر أي مستبد. هذا وتتنوع أساليب المقاومة فقد تكون مقاومة فكرية وثقافية ، أو مقاومة فيزيقية ، كما تتعدد القضايا والأفعال التي يجب مقاومتها ، كمقاومة التخلف بسلاح العلم والبحث العلمي والتكنولوجي ومقاومة الاستبداد بكشف آلياته..وهكذا.

ويمكن استجلاء المقاومة في الفكر الوجودي من خلال استقراء بعض الأفكار والسمات الرئيسة للوجودية من خلال فلاسفة الوجودية "مارتن هيدجر- كارل ياسبر – كيركجورد – غابرييل مارسيل – ألبير كامو – جان بول سارتر وغيرهم" من هذه السمات "وجود الإنسان سابق على ماهيته "

وأن "الإنسان محكوم عليه بالحرية" واهتمامها بذات الإنسان وواقعه العياني ومشكلاته خاصة تلك التي ترتبط بالوجود البشري كالحرية والمسئولية - مما يضع الإنسان في قلب المقاومة - أكثر من اهتمامها "بالموضوع" والوجود المجرد. واهتمام الوجودية بذات الإنسان وصفها بأنها فلسفة إنسانية واتضح ذلك في إسهاماتها في التحليل النفسي والوجداني للإنسان وما يعتريه من هم وقلق دائم وغيرها من أمور تجعل الفردفي حالة من التوتر مما يفرض فكرة المقاومة. كما اتضح في كتابات "سارتر" في المرحلة الأولى من تطوره الفكري والذي يستدعي الاختيار "الحر" وما يرتبط به من مسئولية تحمل تبعات هذا الاختيار ليس لنفسه فقط بل للآخرين أيضا. وفي إطار هذه الأفكار تتبدى المقاومة لدى الإنسان لتأكيد ذاته بإثبات حريته. وهناك نقطة محورية عن "المقاومة" لدى الفكر الوجودي لا يمكن تجاهلها ؛ تلك التي ترتبط بالفترة ما بين الحربين العالميتين ، والأزمات الروحية التي عاشها الإنسانفي تلك الفترة والشعور باليأس والقلق وكان ذلك جلياَ في فرنسا بسبب هزيمتها أمام ألمانيا مما رسخ لفكر المقاومة وصعود حركاتها. وبالطبع كان سارتر في قلب هذه الأحداث انفعل بها وشارك فيها ودعا إلى الانخراط في الواقع حيث التجسيد الحي للمقاومة وتربيتها.

ويمكن رصد أهم الأفكار والمرتكزات الأساسية التي شكلت فكر سارتر عن المقاومة ، من خلال رصد مفهومه عن "الحرية ، والالتزام ، والمسئولية" وسعي الإنسان الدائم لتحقيق ذاته وتقرير مصيره بنفسه وإيجاد المعنى لوجوده. كما كان لمفهوم سارتر عن"الزعيم"ودوره بالنسبة لنفسه وللآخرين ، ركيزة من ركائز المقاومة لديه ، حيث يرفض التراتبية ، ويطرح فكرة "السيادة المشتركة" كما أوضحها في بعض أعماله كالأيدي القذرة والورطة والذباب. فسارتر يؤكد ضرورة وجود الزعماء واتهم الشعوب بأنها هي التي تتخلى بإرادتها عن السلطة ، لذا طرح فكرة السيادة المشتركة لجميع الأعضاء ليعطى الإمكانية لكل فرد من أفراد الجماعة بأن يصير "الثالث المنظم" حيث يستطيع كل فرد أن يكون التعبير والوسيلة للفعل من هنا يعرف سارتر الزعيم:"بأنه هذا الثالث المنظم الذي لا يستغنى عنه وهو شخص يعيش حريته ويعبر عن رغباته وإرادته ويحتفظ بحقه ، وهو حق للجميع لكنهم يتخلون عنه ويعتبرون أنفسهم حريات ثانوية متواطئة مع الزعيم" (حرب 1994 ،141-144). ويعتقد البعض أن سارتر يتأرجح بين ضرورة الزعيم الذي يدافع عنه من جهة وضرورة أن يؤكد كل إنسان حريته برفضه لكل أنواع العبودية ويلخص سارتر هذه الإشكالية في تحليله لبعض الموضوعات: "الزعيم وقيمه جدلية السيد والعبد ، جدلية الزعيم والتابعين ، ...

وإذا كان الزعيم يناضل فإن نضاله هو نضال جميع الأعضاء ، وكل الذين يمثلونهم "المضطهدين" (علي والقفاش ، 2001،25) وفي ظل تلك الفكرة يظل الإنسان في نظر سارتر مسئول عن فعله وعما سيؤول إليه حتى لو كان عبدًا ، فإنه "حر بأن يكسر قيوده فيقول سارتر:إن الخضوع السلبي لا وجود له ، فليس هناك إلا حالتين ؛ خضوع أو تمرد ، ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يكون سلبياَ" (حرب ، 1994 ، 145 -146) ويبدو أن مفهوم سارتر عن الزعيم لا يعبر عن استئثاره بالفعل والحرية بل أنه يمتلك سيادة مشتركة مع الحشود وبالتالي فإذا لم يعبر عن ذلك بموضوعية سيتم الاعتراض عليه ومقاومته. وهنا يبرز فعل المقاومة وضرورته. فإذا نظرنا لصورة "الزعيم"كما قدمه سارتر في الذباب "أورست" فإنه الذي حمل على عاتقه التخطيط للمعارضة ومقاومة الطغاة مع حث الشعب عليها ، وحق تقرير مصائرهم بأنفسهم بامتلاك حرياتهم فاستحق أن يكون مناضلا. وعلى العكس من ذلك لم تستطع الكترا أن تكون مناضلة لأنها لم تمتلك إرادة الفعل. كما أن فكرة "الصراع"- التي تمثل محور أساسي في الاتجاه النقدي الذي ينتمي إليه سارتر ومنهجه في الحياة- مثلت مرتكز أساسي في فكر المقاومة لدى سارتر. هذا بالإضافة إلى أن سارتر عرف معنى "الرفض" ودلالاته بالنسبة إلى الحرية.

كما مثلت فكرته عن "العنف" أيضا جزء من الإطار العام في فكر المقاومة لديه. فترى "سعاد حرب" : "أن العنف لدى سارتر يبقى واقعًا ومفهومًا جوهريًا ، ونتيجة للواقع الإنساني حيث يرى أن كل فلسفة ثورية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار واقع تعدد الحريات ، وأن تظهر كيف أن كل فرد بصفته حرية بالنسبة لذاته ، عليه أن يكون موضوعًا وشيئًا بالنسبة للآخر. وهذا الطابع المزدوج للحرية والتشيؤ هو ما يستطيع أن يشرح مفاهيم جد معقدة كالصراع والفشل والعنف"(حرب ، 1994 ، 137).

حاول سارتر تأكيد المقاومة ومجابهة العقبات والحواجز إذ أن ذلك هو الذي يصنع ذواتنا: فيقرر في حديثه عن الحرية أن الأفراد يواجهون باستمرار بالحواجز والمقاومات في العالم لكن هذا وحده هو الذي يبلغنا المعنى عندما نفسر لأنفسنا السعي لتحقيق أهدافنا... نحن نستطيع صنع وإبداع وإعادة إبداع أهدافنا ، وكذا المعنى ، والقيم ، وإمكانية إعادة صياغتها للتأكد منها والتأكيد عليها(Buchan, 1996, 199). فقد عرف سارتر معنى الرفض ودلالته بالنسبة للحرية. وعرف جوهر الحرية وغايتها القصوى التي لا يمكن أن يحرم منها الإنسان إذا قال "لا" ، وظلت هذه الخاطرة هي المبدأ الأساسي في مفهوم سارتر عن الحرية فالحرية سالبةفي جوهرها على الرغم من أن سلبيتها خلاقة مبدعة.

وكلما ظل الإنسان محتفظا بوضوح الوعي مهما كانت درجة انقفاله وانحصاره فهو يظل قادرًا على أن يقول "لا" ولا تزول الحرية إلا إذا ضاع الوعي أي عندما يصبح الإنسان غير قادر على الاستمرار في إنسانيته ومواصلة وجوده كإنسان حر قادر (الديدى ، 1971 ، 59).

وعندما ينبئنا سارتر بواقعية الحرية ، فهي ليست مجرد تصور ذهني مطلق بل ترتبط بالواقع وتكتسب منه: الحرية إذا راعينا الدقة في التعبير "لا وجود لها" بل تكتسب في موقف تاريخي خاص (سارتر ، 2005 ، 75)فإن ذلك يعني تجسد أفعال المقاومة على أرض الواقع من أجل الوصول إلى تلك الحرية كما حدث في مقاومة المحتل النازي. فقد عقد العزم أثناء الاحتلال الألماني على تشكيل فريق للمقاومة. وشارك الأعضاء العمل على طبع وتوزيع منشورات مناهضة للألمان. إلا أن خطوات الفريق قد تعثرت لأسباب تحالف دولي وغيرها. والمؤكد يقينا أن سارتر قد فعل كل ما في وسعه في ضوء ما تسمح به حياته المألوفة. هذا وتوحد سارتر مع المقاومة وارتبط بأعضاء أكثر نشاطا ، وساهم بين الحين والآخر بمواهبه كما شاركفي الاجتماعات. ولكن الأهم أنه واصل الكتابة دون اعتبار لظروف الاحتلال (أرونسون ، 2006 ،46 -47) فالتزم ككاتب ومواطن في مقاومة المحتل فقد وجد كثير من النقاد في مسرحية "الذباب أو الندم" لسارتر أنها مثالا ممتازًا للمقاومة ،

بل أصبح سارتر رمزا للمقاومة الثقافية في العقد الذي تلا الحرب مباشرة (أسعد ، 1987 257). في إطار الاقتناع الصادق أكد سارتر عقب التحرير مباشرة: "إن خيرناهو من انخرط في صفوف المقاومة لإنقاذ البلاد" وقد تحدث بذلك ليس باعتباره عضوا في المقاومة ، بل باعتباره "كاتبا مقاوما" وعبر عن فكرة المقاومة لديه أيضًا مؤلفه الذي صدر في الولايات المتحدة عام 1947 يحمل عنوان "جمهورية الصمت" يشير إلى نجاح سارتر في تحقيق ذلك. (أرونسون ، 2006 ، 57).

وإذا كان سارتر قد تعلم كثيراَ من فلسفته باعتباره تلميذا للفلاسفة الألمان الأساتذة فكان عليه أن يتعلم دروسًا أخرى من تجربة انتصار الألمان إذ يقول"إننا لم نكن إطلاقا أكثر حرية مما كنا عليه في أثناء الاحتلال الألماني ، لقد فقدنا جميع حقوقنا ابتداء من حق الكلام وكل يوم نهان في وجوهنا وعلينا أن نتقبل هذا في صمت ، فلقد كنا نستعبد بالجملة عمالا أو سجناء سياسيين لسبب أو لآخر وبسبب كل هذا نحن أحراراً لأن سم النازي شبع في أفكارنا , أن كل فكرة صحيحة انتصار... وكل واحد منا يعرف حقيقة المقاومة يسأل نفسه في قلق ولو عذبوني فهل سأتمكن من أن أظل صامتًا" (كرانستون ، 1981 ، 18). إنه مهما كانت إرادة المحتل قوية وصلبة

فإنها ليست سوى إرادة إنسانية ، تستطيع أن تقف ضدها إرادة إنسانية أخرى دون أن تسقط في نفس الوقت في غير المعقول. ذلك هو معنى إبعاد "أورست" لجوبيتر في مسرحية الذباب (جانسون ، 1967 ، 223). ويقول سارتر "أن ماهية الكائن البشرى معلقة بحريته ، وأن ما نسميه حرية هو إذن لا يمكن تمييزه عن وجوده " (الشاروني ، 1963 ، 115).

"والنتيجة الجوهرية لملاحظاتنا هي أن الإنسان لما كان محكوما عليه أن يكون حرا فإنه يحمل على عاتقه عبء العالم كله" (سارتر ، د.ت ، 52). وهنا يضع سارتر الإنسان أمام المسئولية الكاملة بوصفه حالة وجود ، وتتضح العلاقة بين كون الإنسان حرا وكونه مسئولا ومقاوما.

المقاومة في مسرحية الذباب:

مسرحية الذباب ما قيل عنها أنها مسرحية "مقاومة" أراد بها سارتر أن يسند أعمال رجال المقاومة ضد المغتصب النازي من قتل وتخريب ، وضد حكومة فيشي الفرنسية ، وأن أهم رسالة تقدمها المسرحية هو رفض سارتر الذنب والتوبة لآن ذلك يخدم المغتصبين. وحين يتيح سارتر لأورست أن يقتل الملك المغتصب والأم الخائنة ، ولو كان ذلك ضد قوانين مجتمع أرجوس ودين أهلها ،

كأنه يبرر أعمال رجال المقاومة الذين لم يكونوا يقتلون الغزاة النازيين فحسب ، بل أيضا معاونيهم من الفرنسيين وأنصار حكومة "فيشي الفرنسية" وشدد على أن بقاء المناضلين وفعاليتهم يتطلب التضامن معهم (القصاص , 1967 , 38-39).

طرح سارتر في مسرحية الذباب التأكيد الأول لحرية جذرية تتجسد مرة واحدة في فعل وتظل بلا شرط فحرية أورست-رمز عضو حركة المقاومة- هي حرية بالنسبة له وهو يعتبر وجوده بالنسبة للآخرين غير جوهري. أن تجسيد الحريةفي الذباب يظل هكذا على مستوى مجرد. وإن كانت الوجودية إنسانية مناضلة حسب وصف سارتر لها أمام الشيوعيين في نهاية عام 1944 ، فقد أصبح لازما إن عاجلا أم أجلا الحكم عليه في ضوء دعوته "العمل ، والجهد ، والكفاح والتضامن"(أرونسون ، 2006 ، 130).

هذا وقد ربط سارتر بشكل أصيل بين المقاومة والحرية في المسرحية ذلك أن أورست جسد الحرية التي ينتابها الملك أنه يقتل ليهرب من الملك... أن أورست كان يحلم بأن يجسد حريته. وأن "إلكترا" التي تحلم بالانتقام أوحت إليه بالوسيلة وكان عالم ما بين الحربين التافه هو الملك في نظره. أن أورست سوف يكون عضو حركة المقاومة ، ولسوف يشعر هكذا بحريته (جانسون ، 1967 ، 221 ، 222) يقول سارتر: "قد تعتبر الحرية لعنه ،

ولكنها كذلك المصدر الأوحد لعظمة الإنسان" (جانسون ، 1967 ، 234). ولقد تجسدت فكرة الحرية والمقاومة في مسرحية الذباب حيث عاد أورست إلى أرجوس مسقط رأسه غنيا موفور الشباب غزير المعرفة حرا مطلق الحرية ،

وقادرا على الاشتباك في أي التزام جديد وظهرت أخته إلكترا لتحثه على الفعل الحقيقي وينتقم ويقضى على الخائنين وما قدرته إلكترا حققه أورست. وفي حين انصرفت إلكترا إلى الاستغفار والندم توجه أورست لشعب أرجوس وأبلغه أنه خلصه من الإثم وبعد ذلك مضى واختفي. فهل أراد سارتر بنهاية المسرحية نقد أعضاء حركة المقاومة أنفسهم في الواقع الفرنسي آنذاك.إذ انصرفوا بعد التحرير إلى حيث أتوا دون مشاركة فعلية في نظام الحكم في فترة ما بعد الحرب؟ أم أن الذي أراده سارتر كما يقول الديدي: أن اختفاء أورست بعد فعلته لأنه أصبح في النهاية هو نفسه. "الفعل الحر هو الذي يحقق للشخص كيانه فيجد نفسه ويلتقي بها ويصير في النهاية نفسه"(الديدى ، 1971 ، 75 ، 76) وإن كان سارتر قد أعطى معنا للحرية في مسرحية الذباب من خلال فعل أورست يشعرنا بالازدواج حيث حرية أورست هنا مجرد خضوع للقانون واستقبال الموقف مع الرضا عنه. فقد عاد أورست إلى أرجوس مسقط رأسه حاملا على أكتافه مسئولية مصيره. فإذا به هنا رجل يسعى في عودته ، مثقلا بمعنى آخر للحرية واختلفت وجهات النظر حوله.

والواقع أن هذا الغموض والازدواج في فكر سارتر يرجعه الديدي إلى أن الالتزام والتمرد عنده بعدان ضروريان للحريات. ولما لا خاصة إذا كانت الأوضاع الاجتماعية والقانون يكرسان الظلم والقهر. وإذا كان لهذا دلالته فهو ينم عن أن الحرية الحقيقية مجالها العمل و الفعل في سياق تاريخي معين ، لا مجرد تصورات وتأملات ذاتية ، تلك الحرية التي تقوم على الالتزام. وإذا كان الأمر كذلك فكلاهما-الحرية والالتزام- يستند إلى معايير أخلاقية قبلية وهذا يتناقض مع فلسفة سارتر الأخلاقية كما أشار البحث من قبل.

في الواقع أن القوة لا تعبر فقط عن السيطرة بل تعبر أيضا عن المقاومة. وبين المقاومة والسيطرة مسافات من القوة تسمح لفرد أو جماعة ما التعبير عن ذاته وإحداث حالة ما من التغيير ينطوي على درجة ما من التحرر في إطار جدلي والذي يعكس في هذه الحالة صورة عن المقاومة. وبناء على ما سبق فإن فكر المقاومة عامة يشير للحاجة إلى الفهم الجيد لطبيعة العلاقة بين الجماعة المهيمنة والجماعة الخاضعة على أنها علاقة جدلية كما أشار إلى ذلك "هنري جيرو" في عرضه للافتراضات التي يبنى عليها فكر المقاومة فيقول:"العلاقة بين الفعل الإنساني والبنى المسيطرة علاقة جدلية"(Geroux, 2001, 108). والذي يسهم في فهم الفرق بين المقاومة والعنف وغيرها من المفاهيم المرتبطة بمفهوم القوة.

وإذا انتقلنا من مقاومة العنف والاستبداد إلى مدى إقرار العنف وضرورته فإن سارتر أكد ضرورة المقاومة وظل قانعا بذلك عبر مراحل تطوره الفكري. أما بالنسبة لاعترافه باللجوء للعنف ، فكان رافضا تماما للعنف ولكن في ظل الدمار الذي أحدثته الحرب وفي ظل الظلم والقهر الذي فرض على الإنسان تحت وطأة الاحتلال ، غير سارتر من نظرته في استخدام العنف.

كان سارتر يقر بأن اللجوء إلى العنف يمثل دائما انتكاسة ، وبعد ذلك يغير فكره وقال: "ربما يكون صحيحا أن استخدام العنف ضد العنف لا يؤدي إلا إلى استمرار العنف ، ولكن بالرغم من هذا يكون العنف هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء العنف...وأنه لا عدالة من دون عنف. وبعد أن كد سارتر واجتهد لشق طريقه أكد أنه من الاستحالة أن ينعم العالم بالسلم والنور دون الإطاحة بهياكل القهر والظلم الاجتماعيين ، من ثم أعلن أن الشر والعنف عند الضرورة ، خير ايجابي (أرونسون 2006 ، 132-301). لكن ما حدود هذه الضرورة ومن الذي يقر بأنها ضرورة أم لا. فقد يستخدم المحتل أو أي مستبد وظلم للعنف ويقدم ما يعله ضرورة بالنسبة له لاستلاب الآخر. فكيف برر سارتر العنف وخاصة العنف الذي يحمل بعض الخير في المستقبل... إن فكر سارتر وكتاباته عن أخلاقيات العنف ، واحدة من أعظم أعماله والتي لم تنشر في حياته ،

وهى مذكرات عن الأخلاق كتبها أواخر عام 1940. وقد طرح "سانتونى" Santoni ـ وهو واحد ممن كتبوا عن سارتر ـ أسئلة تتعلق بهذه القضية على تفكير سارتر بشأن العنف منها: "ما المعايير الأخلاقية التي تمكننا أن نقرر ما إذا كان استخدام العنف مشروع ومتى يكون غير ذلك؟ وكيف يكون للعنف الجسدي مبررًا أخلاقيَا يهدف إلى تدمير بنى اجتماعية وسياسية واقتصادية لدى الإنسان ، ورأى "سانتونى" أن موقف سارتر كان متناقضًا تجاه استخدام العنف حيث لم يقدم الحجج التي تبرر الاستخدام الصارم للعنف (Arthur, 2007, 231-232).

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الفكرة هو كيف تستقيم تربية المقاومة مع العنف ، وكيف يكون العنف خيرا؟

في ظل الفكرة القائمة بان العنف هو نفسه وسيلة للقضاء على العنف ، فمن الممكن القول بأن: هناك ما يسمى المقاومة الإيجابية ، تلك التي تسمح باستخدام العنف لإيقاف العنف من قبيل الدفاع عن الذات سواء الذات الفردية أم الجمعية، كالدفاع عن الوطن ، من ثم يكون العنف فعل إيجابي، أما العنف للعنف وللطغيان على الآخر وسلبه حريته ، والاستيلاء على ممتلكاته أو على مقدرات وطنه ، كما يفعل المحتل ؛ يصبح العنف شرَا محضًا ويجب مقاومته.

وقد فسر "سانتونى" بعض التميزات المفيدة بين القوة والعنف لدى سارتر في مذكراته فبين كيف أن فكرة العنف محاولة لسرقة الحرية. واتضح ذلك في كتاب "نقد العقل الجدلى" وأن سارتر ركز على مفهوم "العنف المضاد" وأعمال العنف والقهر الناجمة عن النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية واتضح ذلك من خلال تبرير سارتر المقاومة الجزائرية للمحتل والعنف المضاد (Arthur, 2007, 233). وحينما شارك سارتر بكتاباته ، واشتراكه في الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة أيضا باسم التحرر الوطني ودعم حركات المقاومة المناهضة للاستعمار في جميع أنحاء العالم. فقد قدم سارتر نموذجا للفيلسوف الذي جمع بين الأدب والفكر ونجحفي تحقيق جماهيرية محلية وعالمية في ذات الوقت (Lévy, 2003, 19). في الواقع هناك اشتباك واضح بين المفاهيم السابقة أي بين "المقاومة والعنف و العنف المضاد" ، كل منهم يحتاج إلى التبرير فلماذا يقاوم الإنسان؟ويقاوم من؟وكيف يقاوم؟والإجابة عن تلك الأسئلة تحمل في طياتها مبررات المقاومة وشرعيتها ذلك لأن المقاومة هي الأخرى تحتمل العنف لصد الظلم والعدوان والمحتل واستبداده إلخ. وبالنسبة للعنف فهو أيضا يحتاج إلى مبرر أخلاقي (رفض العنف لمجرد العنف) وألا يكون العنف لقهر إرادة الآخر والاستيلاء على أرضه أو حريته إلى غير ذلك ، وبناء عليه فهناك مبرر للعنف المضاد. هذا ويشتبك مفهوم "الجهاد"

كمفهوم إسلامي والذي يسعى من خلاله المسلم الدفاع عن الدين ومقاومة العدوان على الإسلام والمسلمين وعن أوطانهم ورفع كلمة الله. وإن كان يختلط الأمر في العصر الراهن لدى أعداء الإسلام بطرح ولصق "الإرهاب" بديلا ظالما للجهاد في الإسلام.

وفي إطار هذه الآراء عن العنف والمقاومة والعنف المضاد كتبت كثيرمن المؤلفات تحتوى هذا الفكر مثل "لا ضحايا ولا جلادون" عام 1946 لكامو ، وردت مجلة الأزمنة الحديثة على هذه المقالات بعنوان مغاير... كلنا جلادون ومجني عليهم"..وغيرها من المقالات (Arthur, 2007, 231-238). وعندما يقرر سارتر بأن: "الحرية ليست في ذاتها مسألة اختيار ، إنها ما لا يمكن اجتنابه ، وهى جوهر وجود الإنسان". "أن أكون يعنى أن أفعل ، ونحن دائما نختار كيف نفعل". فيقول كان التساؤل الأساسي للحرية قائما أمامنا لقد وصلنا إلى أعمق معرفة يمكن أن تتكون لدى الإنسان عن نفسه. ليس سر الإنسان عقدة أوديب أو عقدة الدونية، بل حدود حريته ، ومقدرته في مواجهة العذاب والموت" (كرانستون ، 1981، 19) فإنه يقرر المواجهة التي تعني الإرادة الإنسانية المقاومة. وفي إطار ما سبق يتضح أنه في تلك الفترة من حياة سارتر كان هناك معنى أعمق للمقاومة ، والاحتجاج في بقاع عدة من العالم ، مرجعها أطر فكرية وفلسفية وأدبية متباينة إلا أن المؤكد في القضية هو ترسيخ فكر المقاومة.

تأسيسا على ما سبق يمكن إيجاز الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها فكر "سارتر" في تربية المقاومة في الآتي:

الإيمان القوي بالإنسان وحريته وقدرته على تغيير الأوضاع من حوله ، وأن الوعي حرية يدفع الإنسان إلى تقرير مصيره بنفسه.

تأكيد الحرية في "الاختيار الحر".

امتلاك إرادة التغيير وحق الرفض وإمكانية قول "لا" وهو يعني أيضا حالة من الاختيار" الحرية".

امتلاك إرادة المقاومة "الفعل" وتحديد المصير"حيث فعلي هو حريتي".

"القصدية" بتحديد الأهداف من وراء الفعل.

الالتزام الذي يرتبط بالمسئولية عن الفعل وتبعاته.

تأكيد طبيعة العلاقة بين الكلام والفعل والكلام الذي يعنيه الصمت.

تأكيد الذات في إطار من الوعي النقدي.

هذا وإذا كانت أشكال المقاومة تتنوع بين مقاومة فكرية ثقافية ، وبين تحويل هذا الفكر وافتراضاته عن المقاومة إلى واقع فعلي. فإن ذلك يتطلب أساليب، وأدوات معينة لتحقيق هذه المقاومة من هذه الأساليب لدى سارتر: المقاومة بكشف تناقضات الموقف ، بالوعي النقدي للأساليب الديكتاتورية ،

من خلال الحث الدائم على مواجهة الاستبداد ، وبالكشف عن أدوات الهيمنة للسلطة المستبدة ، بالتحرر من الخوف ، وبالخيال الذي يهدي إلى تحقيق ماهية الإنسان والتساؤل الدائم عن ما يفعله الإنسان ليحقق وجوده والذي يكشف أمامه آفاقًا رحبة عن الحياة والكون وعن ذاته.

هذا وقد تناول "سارتر" بعض التحديات التي تواجه المؤسسات ، ومنها المؤسسات التعليمية التي تحتاج إلى تأصيل تربية المقاومة لديها ، حيث تتبع تلك المؤسسات عادة النظام السائد المسيطر في المجتمع وتعكس خطاب السلطة. مما يسهم في تشكيل متعلم يخدم مقتضيات الواقع المجتمعي وإيديولوجيه السلطة القائمة (Gordon & Gordon, 1996, 245). وتبرز فكرة المقاومة في تحليل "سارتر" للعلاقة بين المؤسسات التعليمية والسلطة وتأكيدها على المضامين الطبقية للمعرفة المدرسية وما تحمله المناهج وأساليب التعامل الرمزي داخل المدرسة وسلطة المعلم. ومن ثم تبيان كيف يستلب الوعي عبر آليات وأساليب معينة كسيادة التعليم التلقيني والافتقار إلى الحوار والحرية في العمل وإعداد المتعلم لحياة غير الحياة الواقعية "تغريب المتعلم". مما يؤكد على ضرورة أن يكون هناك دورا تربويا مقاوما للمؤسسات القمعية من أجل بناء الذات الحرة. وهذا يتفق مع هدف التربية الوجودية عموما ، حيث توافر المناخ الحر للمتعلم للقيام بالأعمال التي تحقق ذاته.

في ذات الوقت الذي يؤكد فيه كل من " جيرو ، وستانلي": أن المدارس تمثل ساحات للتنافس لا تتميز فقط بالتناقضات البنائية والإيديولوجية ولكن أيضًا بالمقاومة الجماعية النشطة من جانب الطلاب. وبالطبع يحدث الصراع والمقاومة في إطار علاقات غير متكافئة للسلطة والتي دائما ما تكون في صالح الجماعات السائدة ، ولكن النقطة الأساسية هي أن هناك مجالات معقدة وإبداعية للمقاومة تقوم من خلالها الممارسات المرتبطة بالطبقة والعرق والنوع في كثير من الأحيان برفض ونبذ الرسائل الأساسية للمدارس(Stanley&Giroux , 1993, 67-68) والمتأمل لفكر المقاومة لدى "سارتر" يرى أنه جعل من هذا الفكر ضرورة إنسانية ترتبط بحرية الإنسان وكرامته وضرورة لتحقيق ماهيته وذاته الحرة ومقاومة كل ما يحول دون تحقيق ذلك. هذا مع إقراره بإمكانية المقاومة والتغيير بتحقق الحرية الإنسانية(علاقة جدلية) وهذا يتطلب إنماء للوعي بأشكال وآليات الهيمنة ليس فقط على المستوى النظري ، ولكن أيضًا بالانغماس في الفعل.

وتكون تربية المقاومة طبقًا لفكر المقاومة لدى "سارتر": هي جملة الأفعال التي تتحقق بها الحرية والوعي لدى الإنسان ومن ثم تحقيق ماهيته وفق إرادته أي امتلاك الإنسان لمصيره ومسئوليته عن نتائج أفعاله ، ويرنو بنزعته الإنسانية لمناهضة ما يشوه وجه الحياة من مظالم ومظاهر لا إنسانية على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية ، والثقافية ، والتربوية.

رابعا: سارتر وقضية الالتزام والفعل المقاوم:

طرح سارتر أفكاره عن الالتزام من خلال تحديده لما يجب أن يكون عليه الكاتب فعندما تحدث عن الكاتب الحر وأنه وسيط أعظم فإن التزامه يكون في وساطته هذه. وأن الكاتب مسئول ومسئوليته هي التي تجعله يتخذ موقفًا محددًا، طارحًا خلفه مظاهر الضعف. ويسمى الكاتب "ملتزما" حين يجتهد في أن يتحقق لديه وعى أكثر... عندما ينقل لنفسه ولغيره،ذلك الالتزام(الصباغ ، 1981 ، 217).

ويرى "مونجان" أن الالتزام ليس مجرد استدعاء للقيم ، أنه بالتحديد مفهوم يجب أن يتجسد في حين يرى "بول لويس لندسبورج" Paul Louis Landsberg وهو ذو خلفية فينومينولوجية لجأ إلى فرنسا هرباً من الخطر النازي يرى أنه يجب علينا أن نتعلم الالتزام بقضايا ليست بالضرورة نموذجية مثالية وما هو محل الخلاف هنا هو فكرة أننا نتوافر على قيم نعمل على تطبيقها من أعلى ، ويجعلنا نتساءل عن ما هي معايير الالتزام حينما نكون في حالة من عدم التوجيه التام وحينما تتجاوزنا الأحداث؟(مونجان ، 2003 ، 87).

أي أن معنى الالتزام يكمن في (الفعل) ، وتحمل المسئولية ، والمعيار الذي يحدد هذه المسئولية يستوجب تحديد معيار الالتزام (الصباغ ، 1981، 218).هذا وإذا كانت القراءة في نظر سارتر إبداع موجه مكمل لعملية الكتابة ، وحرية القارىء فإن الأدب كما يفهمه لا يجعل القارىء يقبل المضمون رغم أنفه ، لكن نتيجة لجمال الأسلوب (أسعد ، 1987 ، 244). لذا وضع سارتر قواعد ومعايير للالتزامفي نفس الوقت الذي لم يكن في الوجودية مذهب إنساني يجعل للأخلاق وجوداً قبلياً... وهنا يتناقض سارتر مع نفسه ، فعدم وجود أخلاق قبلية يعنى ألا يقوم الالتزام. لذا فإن نظرية سارتر في الأدب الملتزم يرى البعض أن "فيها من الدعوة والنداء أكثر مما فيها من الدراسة والاستقراء" (الصباغ ، 1981 ،219- 220) والمقصود هنا طالما أن الالتزام يتطلب معايير وقواعد فإن هذا بدوره يستلزم وجود أخلاق قبلية في الوقت الذي ترفض فيه فلسفة سارتر وجود الأخلاق القبلية ؛ لذا قضية الالتزام عند سارتر بالتالي تتعارض مع فلسفته الأخلاقية.

لكن رغم هذه التناقضات في محاولة سارتر فرض معايير على الالتزام ترفضها فلسفته فإن سارتر في طرحه لمفهوم الالتزام يبقى معلقا أهمية الكاتب وقيمته على المسئوليات التي يضطلع بها ، والتي تعتبر المشكلات الاجتماعية والسياسية في مقدمتها (الصباغ ، 1981 ، 220). وترتبط الحرية وتتشابك بالالتزام كما يراها سارتر "إذا كان هناك التزام فأنا مجبر على إرادة حرية الآخرين في نفس الوقت الذي أريد فيه حريتي"

(Sartre, 1946, 83). إن الاعتراف بالآخر الشكل الأكثر عمومية الذي ينظم الالتزام ، خاصة حينما يتعلق الأمر بالخصم: فيتساءل بول ريكور: إلى أي مدى يمكن أن اعترف بالآخر الذي قد يكون خصمي؟ ويلاحظ أن مسألة الالتزام تضعنا في مواجهة مأزق حقيقية وهى المأزق الأخلاقية الراهنة. إذ لا يتعلق الأمر أولا بسؤال القيم ، وإنما بالمواقف الأخلاقية الداعمة للقيم (مونجان ، 2003 ، 88).

وهذا يطرح نفس القضية فيما يتعلق بالإنسان في أي موقع في الحياةوفي المجال التعليمي يجعلنا نشير إلى المعلم والمسئوليات المنوطة به في المنظومة التربوية والتعليمية وكيف يكتسب المعلم مكانته الضائعة من خلال القيام بمسئولياته التربوية والتعليمية.

إن حديثنا عن سارتر يستدعي دائمًا شخصية فلسفية أدبية أخرى وهو "البيير كامو "فهما القطبان النقيضان اللذان حددا اختيارات جيلهما ، تميز كل منهما بموهبة بالغة العظمة ، والاستغراق في العصر إلى أعمق الأعماق ، والالتزام السياسي على أشد وأحكم ما يكون... حيث وضع كل منهما وجهة نظرة بقوة وجلاء" (أرونسون ,2006 , 302). فكانت لكل منهما و جهة نظر بين الإصلاح والثورة والعنف واللا عنف ، موقف الفنان وموقف الفيلسوف ـ المتمرد والثوري .

وقد كان القطبان النقيضان" كامو وسارتر" داخل دائرة الحرية والتحرر ناقشنا في عالمنا العربي باسميهما وفي ضوء أفكارهما معاني جديدة , كاالالتزام المسئولية ، والأصالة ، والثقافة والحياة ، والإنسان موقف , والإنسان فعل واختيار حر... (أرونسون ، 2006 , 2). وغيرها من أفكار جديرة بالدراسة والتأمل ، وهو ما يفرض علينا بعد هذا النقاش تحويل تلك النصوص وغيرها من كنوز الفكر و الأدب العربي والعالمي إلى ثقافة اجتماعية راسخة وإطار فكرى وتربوي فاعل للتغيير ومرجعية للتفكير لإثراء تجاربنا الإنسانية الراهنة والمستقبلية.

وهو ما يقودنا بجرأة إلى المراجعة النقدية لثقافتنا ومواقفنا وإنحيازتنا لنكتشف من نحن؟ فهذا سبيل من سبل الوصول إلى الحقيقة إلى حيث الطريق للحرية ، وبناء الإنسان المقاوم.

الالتزام والمسئولية (المشاركة والفعل):

قدم سارتر أيضًا فكرة الالتزام والمسئولية والتي تدور في فلك الفكرة الرئيسة وهي فكرة المقاومة. كان لسارتر دعوة شهيرة إلى الالتزام بتلك الدعوة ارتبطت فلسفته وعبرت أيضا عن سارتر في أوجه بلاغته. إذ رفض فكرة الفن للفن باعتبارها شكلا من أشكال اللا مسئولية. ووضع بحسم الأفراد ، خاصة الكُتاب في عالمهم التاريخي ثم دعا إلى الأدب الملتزم فيقول (أرونسون ، 2006 ، 81):

"لما كان الكاتب لا يملك وسيلة للهرب ، فإننا نريده أن يستوعب زمانه بقوة وإحكام.... ليس لنا غير هذه الحياة لنحياها ، وسط هذه الحرب وهذه الثورة ربما وكي يكون لك حق التأثير في المناضلين يجب عليك أولا أن تشاركهم نضالهم" ويرى أرونسون أن نداء سارتر من أجل الالتزام كان بصدد الانتقال إلى السياسة...كأنه نوعًا من المدخل إلى السياسة ويقرر سارتر أن كل كلمة لها نتائجها المترتبة عليها وكل صمت كذلك" ، "وعلمنا الاحتلال الشأن الذي يعنينا وحيث أننا نعمل في زماننا وفق وجودنا ذاته فإننا نقرر أن عملنا هذا سيكون عمديًا وعن قصد وإرادة" (أرونسون ، 2006 ، 81- 92). إذا فالمسئولة حرية وحرية الكلمة والكتابة موقف ملتزم كما أن حرية الإرادة أساس التحرر, الالتزام حرية كما أن الاعتراف بالإثم والندم والتوبة تحرر، من ثم فالحرية جوهر وجود الإنسان.

وأضحى نداء سارتر على الفور قضية ذائعة الصيت وشرع منذ مطلع عام 1947 في تطوير تبرير تاريخي وفلسفي وسياسي أكثر إفاضة لمعنى الأدب الملتزم "ولما كان سارتر وجوديا فقد اهتم بأشكال أخرى من الكتابة بخلاف الدراسات الأكاديمية العادية وهذا أمر طبيعي وكان أول اختيار له هو الرواية وقد ذكرت سيمون دي بفوار في مقال لها بعنوان (الأدب والميتافيزيقا) أن الفيلسوف الذي يعترف بالذاتية والزمانية يصبح فنانًا وأديبًا" (كرانستون , 1981 , 8). من ثم كان هذا حكمًا من شريكة حياته ، بأنه فيلسوف يمتلك مقومات فنية عالية وأديبًا مرموقًا وملتزمًا.

خامسا: أخلاق المقاومة عند سارتر وكيف تكتسب بالتربية.

يؤكد سارتر دائمًا على ضرورة ربط الكلام بالفعل وقد اتضح ذلك بشكل جلي من خلال فكرته عن الحرية "فعلي هو حريتي" ، ومن هذا المنطلق أيضا نجد أن الأخلاق في نظر سارتر "فعل أخلاقي ، ومعيار الفعل الأخلاقي هو إحساس المرء بأن الموت أهون من عدم هذا الفعل ولابد للفعل الأخلاقي من الارتفاع إلى مستوى القضية العامة في اختيار الشخص لسلوكه في موقف محدد وأن ينطلق بحكم مؤداه: الموت أفضل من أن أشهد كذا ومن أن يقع كذا..."(الديدى ، 1971 ، 56) لقد سعى سارتر إلى أن يستبعد كل مرق التوابل الميتافيزيقية في عودة إلى الواقع الفظ للوجود ، التجربة التي هي تجربة الحرية ، إذ تكشف لنا التجربة المباشرة العالم ليس باعتباره واقعة موضوعية فظة ، وإنما باعتباره عالمنا وهدف رغباتنا وطموحاتنا ، وأشواقنا. وليست علاقتنا بهذا العالم من ثم محددة بالعالم وإنما باختيارنا للطريقة التي نرتبط بها بالعالم باعتبارنا كائنات واعية...الواجب الأخلاقي للفرد هو ببساطة أن يؤكد وجوده كفرد في مواجهة العالم ، وأن يرفض الخضوع لأي حتم خارجي أخلاقي أو طبيعي. لقد تم تقويض كل استمرارية للمعنى والتاريخ ، ودوام القيم الثقافية. فالحياة بهذه اللحظة والوعي بهذه اللحظة غير مقيدين وغير قابلين للتنبؤ (كلارك ، 2015 ، 32-33). وقد اتضح ذلك أيضًا في علاقة الفرد والمجتمع عند سارتر:

فيرى سارتر:أن الفرد ديكارتي ، بمعنى أنه هو محدد بنقاء وحرية وعيه. إنه العقل الواعي الذي يفرض معنى على التجربة بدمج التجربة في كل ذي معنى وهذا الوعي متعال ، غير مقيد بأي مطلقات طبيعية أو أخلاقية ، قادر على رفض أي قسر من الطبيعة أو المجتمع...فإن المجتمع بجهازه الهائل من القيود الأخلاقية متمثل في قطب الموضوع ومنتقد من قطب الذات المتعالية (كلارك ، 2015 ، 31-32).

إن المبادئ الخلقية ليست من صنع قوة خفية أيا كانت ، وإنما الإنسان هو الذي يصنع قيمة الخاصة به: "فالقوانين الخلقية تقدم على أساس ما يتخذه المرء من قرارات في الحياة ، ولا تستمد من أي إلهام غيبي، ويبالغ سارتر في القول بضياع الإنسان وهجرانه في عالم يخلو من فكرة ربط القيم الخلقية بوجود الإله وتعرضت هذه الفكرة للنقد من قبل نقاد المذهب الوجودي " (القصاص ,1967 , 37). إذ أن سارتر يقرر أن الأخلاق وليدة الموقف والتجربة ، من ثم ليست لها علاقة بالدينأو التاريخ أو الثوابت والمعايير المعدة مسبقا. فمصدر الأخلاق هنا الإنسان نفسهفي الموقف والخبرة المعاشة. وهذا يتعارض مع بعض الأنساق الفكرية ، بل ومجريات الأحداث على مستوى الواقع المعيشي ، إذ تشتق أخلاق الناس من ثقافة المجتمع ودينه وأعرافه وغيرها. وهنا لا يتفق البحث الحالي مع سارتر إذ أن الأديان تمثل أحد أهم المصادر للأخلاق وهى ثوابت لا تخضع للأهواء.

يرى (جانسون) أن الأخلاق الأساسية في مسرحية الذباب قد ذكرها سارتر في إحدى مقالاته حيث كتب "الحرية الإنسانية لعنة ، لكن هذه اللعنة هي المصدر الوحيد لنبل الإنسان" (جانسون ، 1967 ، 157). ويبدو أن هذا التناقض الكبير فيما تفعله الحرية بالإنسان مرجعه نظرة سارتر المطلقة عن الحرية وللإنسان (الفرد) في اختياراته. وتستطيع التربية الخروج من هذا التناقض بمؤتلف جديد يضع الأسس الاجتماعية للحرية في الاعتبار تلك التي أهملها سارتر(التي تعني خلق من أخلاق الحرية ومن ثم أخلاق المقاومة). هذا والأخلاق الوجودية لا تبدأ من جملة أحكام وقواعد أنها لا تفرض أي مبادئ أو مناهج أو معايير. كل ما تبدأ عنده هو التجربة نفسها ، لذا فهي ترى أنه: "على المرء أن يكتشف طريقه من خلال تجاربه ، وكما يفطن الطفل مرة بعد مرة إلى أن النار تحرق وأن الثعبان يلدغ يفطن أيضا إلى الندم ، وإلى إحساس يبلغ مستوى الذنب "(الديدى ، 1971 ، 57). وهنا يهمل سارتر أمران مهمان هما : -

الأول: أن الطفل الذي يترك ليعرف طريقه بنفسه عن طريق تجاربه وبحريه مطلقه قد تتعرض حياته في بعض الأحيان للخطر.

الثاني: أنه إذا تعلم الإنسان من خلال تجاربه فقط يعني ذلك على المستوى "الميكرو" إهمال الإفادة من تجارب الآخرين ، وعلى المستوى"الماكرو" إهمال التاريخ والتراث وهي مكونات مهمة في تشكيل هوية الإنسان ، يستمد منها بعض قيمه ومحددات وجوده ويهتدي بها في مسيرة حياته ، خاصة إذا اعتبرنا أن الحاضر ما هو إلا لحظة جدلية بين الماضي والمستقبل.

ومسرحية الذباب تعرض أيضًا بعض المشكلات الأخلاقية الأخرى التي تظل بلا جواب ، فقد أطاع أورست دوافع الانتقام وقتل المغتصب وقتل الأم الخائنة ، وفي النهاية يترك أرجوس. وربما كان الجواب في أن مسرحية الذباب يجب قراءتها على أنها مسرحية مقاومة. وقد وجه النقد للمسرحية وخاصة لموقف أورست في مغادرته للمدينة بعد قتل المغتصبين وأن ذلك لا يفسر إلا في أنه يسعى للخلاص الشخصي . وباستقراء ما سبق عن فكر سارتر فيما يتعلق بالعلاقة الفرد/ الجماعة يبدو عدم اعتبار سارتر للجماعة ، فأورست يقوم بالفعل وحيداً ويقرر حريته وحيداً ، فقط يشير للجماعة إلى طريق خلاصهم بمسئولية تقرير مصائرهم بأنفسهم.

وفي كتاب "سارتر بقلمه" يحاول سارتر تفسير النهاية فيقول: "إننا نحارب الألمان لكن هذا لا يعطينا أي حق بالنسبة للحقبة التي ستلي الحرب"(جانسون ، 1967 ، 46).

بجانب ذلك فإن كتابه مسرحية في ظل الاحتلال تمجيد لموقف المناضلين كان يقتضيه أن يرجع إلى أسطورة قديمة

ليضمن تحولا مناسبًا لموضوعه. وأضاف سارتر "من الواضح أنه لم يحدث بالصدفة أنني اخترت تلك الأسطورة بالذات ، واستطيع بسهولة وقد اخترتها أن اخترع نهاية مختلفة فربما كان في استطاعة أورست مثلا أن يظل بين شعب أرجوس في دور المواطن العادي يعمل معهم على تكوين نظام سياسي رائع" (جانسون ، 1967 ، 47 ، 48).

ورغم عدم اعتراف سارتر بأي معايير وقواعد معدة مسبقة للحكم على الأخلاق ، فليس معنى ذلك بالضرورة ـ أن سارتر ينفي وجود معيار موضوعي لقياس السلوك: "إذ يقدم لنا معيار الأخلاق وهو "الاقتناع الصادق الأصيل" مقياسا لذلك ، وعكسه "سوء القصد أو خداع النفس" الذي يحكم على عمل صاحبه باللا أخلاقية" (Lecherbonnier, 1972, 19-21). يرى سارتر أن سوء الطويةأو الاعتقاد السيء هو اختيار شخصي للغاية وهو في كثير من الأحيان خيار جبان ويرى أنه لو أن المرء تعلم الاستفادة من حالة الوجود الأول دون الكذب على النفس والمجتمع ، أو الخضوع لما هو سائد. عندئذ تكون قيم المجتمع معبر له ويكون هناك تقدير جيد للإبداع ، والقدرات الخلاقة (241 (Gordon& 1996,

ومعنى ذلك كما يقول القصاص: "أنه إذا كان الإنسان حراَ مستقلا في وضع مبادئه الخلقية ، خالقا لقيمه ، فإنه يحق لنا أن نسأل عن أمر واحد ، وهو ما إذا كان صادقًا مع نفسه في اتخاذ هذا الموقف أو ذاك ، مما يخلع قيمة على اختياره وإلا كانت قيمه غير حقيقية ولا أصيلة ، بل كأنها غير موجودة في الواقع (القصاص 1967 ، 4).

وكان لسارتر موقف نقدي من التربية في فرنسا ، وكيف كانت تشيىء الإنسان والظواهر معًا ، فمن منظور سارتر عن معيار الفعل الأخلاقي ناقش هذه القضية في المجال التربوي حيث قرر أن: " سوء النية أو الطوية موجود في المواقف التعليمية فمعظم الطلاب يجدون أنفسهم معرضون له. وكثير من المؤسسات لا تسمح إلا بالتساؤل الزائف الذي يدعم أشخاص ومؤسسات في السلطة يمتلكون المعرفة والأفضلية في التطور ، من بينها المؤسسات التعليمية... ومن الواضح أن الأفراد هم الذين يقبلون التشيؤ كأن يكونوا بضائع تباع وتشترى (الطابع المادي للمؤسسات) والحقيقة أن الاعتقاد السيئ أو خداع النفس هو تضحية بحرية الأفراد (ذبح حريتهم والتضحية بها) وقرروا العيش وكأنها وجود نسبى. ويتمثل دورهم الرئيسي في المحافظة على هذه المؤسسة وهذا ما يدعم انتشار الاعتقاد السيئ "(Gordon & Gordon, 1996,242)

فتحولت المؤسسات إلى كونها هدف وأصبح الإنسان هو الوسيلة (تشيؤ) بدلا من العكس حيث تكون المؤسسة وسيلة لتسير حياة الأفراد في المجتمع. وهنا يلتقي سارتر مع الفكر الماركسيي في نقد الرأسمالية في تكريسها لتشيؤ الإنسان ومن ثم اغترابه.

كما يرى أن: " الكفاح ضد الاعتقاد الخاطئ أو سوء النية في الفصول الدراسية ، يستوجب مربي يقدم منهجا جيدا ، ومتسائل شجاع يقلل من الاعتقادات الخاطئة لدى المتعلم...على العكس المعلم المتخاذل لن يكون لديه تحد مواجهة لعنة سوء النية تلك التي تهيمن على معظم المؤسسات والتفاعلاتفي المجتمع" (Gordon & Gordon, 1996, 244).

وتأسيسًا على ما سبق يتأكد دور التربية وخاصة المدرسة من خلال المعلم "المربي" في تشكيل أخلاق المقاومة. إذ عول عليه النجاح أو الإخفاق فيما يتعلق بنقطة الاعتقاد الخاطئ أو سوء النية في العمل التعليمي وما يترتب عليه من أخلاقيات. ومن خلال ما تقدم يمكن استنباط بعض أخلاق المقاومة كما تتضح في فكر سارتر:

المقاومة تفعيل لإرادة إنسانية ضد إرادة إنسانية أخرى ظالمة ومستبدة.

المقاومة ليست مجرد فكر وتأمل فقط ، بل أيضا فعل أخلاقي منوط بالإنسان ، يتأكد في مسيرة تأكيده لذاته الحرة.

رفض تشيؤ الإنسان وذبح حريته.

نبذ الخوف والتخاذل.

المقاومة من أجل الحرية وليس للأطماع السياسية (فرجال المقاومة ليس بالضرورة هم صناع السياسة وأصحاب السلطة).

الاستهداء والاكتشاف بالتجربة (تجربة الحرية) ، دون فرض أحكام مسبقة.

معيار الأخلاق هو "الاقتناع الصادق الأصيل"بأن يكون الإنسان صادقا مع نفسه في اتخاذ هذا الموقف أو ذاك ، مما يخلع قيمة على اختياره ، والبعد عن خداع النفس (سوء الطوية).

وتلعب التربية دور كبير في ترسيخ هذه الأخلاق ، بامتلاك إرادة المقاومة باكتشاف العقبات التي تحول دون الحرية والالتزام والمسئولية.

الفصل الرابع

سارتر وأبعاد تربية المقاومة " مسرحية الذباب "

أولا: الفكرة الرئيسة في مسرحية الذباب أو الندم: Les Mouches

ثانياً: الشخصيات الرئيسة بالمسرحية.

ثالثا: التضمين الأسطوري في مسرحية "الذباب".

رابعا: أبعاد تربية المقاومة في المسرحية.

يبدأ هذا الفصل بتقديم مؤجز عن الفكرة الرئيسة لمسرحية "الذباب" والتعريف بأبطالها ، وما يرمز إليه كل منهم في الواقع الفرنسي آنذاك. ثم يناقش التضمين الأسطوري للمسرحية ، والذي استوحى منه سارتر السيناريو العام للمسرحية ، وعرض الفكرة المحورية التي تدور حولها تفاصيل النص بالمسرحية ومضمونها المقاوم. ثم ينتقل إلى تحليل مضمون المسرحية وما يسفر عنه التحليل من أبعاد تربية المقاومة.

أولا: الفكرة الرئيسة في مسرحية الذباب أو الندم: Les Mouches

المسرحية دراما من ثلاث فصول كتبها سارتر عام 1943 مأخوذة عن أسطورة يونانية قديمة (أورست في أرجوس) تدور المسرحية حول "فكرة المقاومة" والتي تأصلت في فكر سارتر أثناء الحرب العالمية الثانية ومقاومة المحتل النازي وما ترتب على الحرب من مآسي وآثار مدمرة وظواهر اجتماعية مستجدة محليا وعالميا.

فمسرحية الذباب مسرحية للمقاومة وتدعيم ثقافتها أراد بها سارتر أن يسند أعمال رجال المقاومة ضد المغتصب النازي وضد القتل والتخريب أثناء الحرب العالمية الثانية (وإن كانت نهاية المسرحية قد أثارت عديد من الاختلاف في وجهات النظر وأشكال النقد) خاصة موقف بطل المسرحية المقاوم أورست حيث غادر أرجوس بعد أن قاوم وقضى على الطغاة ولم ينتظر أن يشارك في إعادة إصلاح المدينة وواجه جمهورا هائجا ومجتمعا بأسره. وكان رد سارتر بأن الجميع كان يحارب لتخليص فرنسا من المغيرين.. لكن ذلك لا يعطينا الحق في تشكيل سياسة فرنسا بعد الحرب.. وكأنه يقرر بأنه ليس بالضرورة أن يكون رجال المقاومة هم أنفسهم صناع السياسة وأصحاب السلطة.

يقرر سارتر في مسرحية الذباب أو الندم "حرية الإنسان" ويعلق عليها أهمية عظمى. فالإنسان ليس ألعوبة في يد أية قوة تأتيه من خارجه ، والإنسان حر مستقل الإرادة... ومن ثم كان المستقبل أمامه مفتوحا يستطيع أن يشكله

كما يشاء. وفي ذات هذه الحرية البشرية لعنة فادحة للإنسان ، ولكن دون هذه اللعنة لا تكون للإنسان كرامة وقد تم مصادرة المسرحية من قبل الألمان عندما فطموا لذلك في نفس الوقت الذي لم يرضى أنصار المقاومة عن تفسير المواقف في المسرحية بهذا الشكل قد غادر أرجوس ولم يبق فيها لكي يساهم في إصلاح أحوالها (القصاص ,1967 37-39). وقد قدم سارتر الرد على أوجه النقد التي وجهت لنهاية المسرحية ، والذي أشار إليها البحث من قبل.

ثانياً: الشخصيات الرئيسة بالمسرحية :

جوبيتر: هو الشخصية المفتاح في المسرحية والذي أقام حواراً مع أورست طوال المسرحية (إله الذباب والموت) ، وله تمثال في ميدان أرجوس له عينان بيضاوان ووجه ملطخ بالدماء.

أجاممنون: ملك أرجوس والذي قتله إيجست واغتصب ملكه بمعاونة زوجته.

أورست (بطل المسرحية): ابن أجاممنون ، ورمز للمقاومة ورجالها الفرنسيين.

إلكترا: أخت أورست (رمز للشعب الفرنسي العاجز والمنكر للمحتل).

المربى: مربى أورست ورفيقه في العودة إلى أرجوس.

إيجست: ملك أرجوس وأخو الملك السابق أجاممنون ومغتصب ملكه (وهو يعبر عن المغتصب النازي كما يقدمه سارتر).

كليتمنسترا: الملكة الخائنة صاحبة الملك إيجست (وزوجة الملك أجا ممنون) ووالدة إلكترا وأورست ، (وهي تعبر في المسرحية عن الفرنسيين الخائنين الذين كانوا يمدون المحتل بالمعلومات عن المقاومة).

أرجوس (مدينة يونانية): مسقط رأس أورست ، وهي رمز لفرنسا المحتلة.

هذا وإذا كانت المسرحية في مضمونها تربية للمقاومة فإنها رسخت مجموعة من الأفكار تدور في فلك تلك التربية وهى: الحرية ـ الالتزام ـ المسئولية وغيرها ، مما يسفر عنه التحليل الكيفي للمسرحية.

ثالثا: التضمين الأسطوري في مسرحية "الذباب".

اعتمد جان بولسارتر في مسرحية الذباب أو الندم على التضمين الأسطورى لمأساة أورست التي كتبها في ثلاثة فصول عن باعث التراجيديا اليونانية "إسخيلوس" وجاءت تلك الثلاثية كالتالى:

مسرحية "أجا ممنون" ، ثم مسرحية "حاملات القرابين" ثم مسرحية "الصافحات".

في مسرحية "أجا ممنون" تدور حول عودة البطل "أجا ممنون" فاتح طروادة إلى أرجوس حاضرة ملكه بعد عشر سنوات من الغزو والقتال ، ليجد زوجته الخائنة "كليتمنسترا" قد اتخذت "إيجيست" عشيقًا لها ، ونفت ولدها "أورست" من البلاد ، ثم اشتركت هذه الملكة الخائنة مع "ايجست" في الفتك بزوجها يوم عودته في قمة انتصاره.

وفي مسرحية حاملات القرابين دارت الأحداث حول كيفية أن الإله "أبولو" رب الشمس وقارئ الغيوب ، أوحى إلى الفتى أورست أن يعود إلى "أرجوس" لينتقم لأبيه القتيل ، وكيف قتل أورست بسيفه الملك مغتصب الحكم والأم الخائنة ، ورماهما في الجحيم.

وفي مسرحية "الصافحات" نرى محنة أورست ، فبعد أن قتل الفتى أمه حاصرته ربات العقاب لتنهشه ، وأطبقت على عقله سحابة الجنون ، فقتل الأم مهما كان عدلا لم يرد في شريعة السماء ، ويستنجد بالإله "أبولو" ليغيثه ، ولكن ربات القصاص يطالبن بدمه وتعقد له محاكمة أمام شيوخ أثينا ، ويترافع عنه أبولو ببليغ الكلام

ولكن صوت الزبانية كان أقوى بلاغة ، وحين يؤخذ القرار في شأن جريمته ، تتعادل أصوات القضاة ، فإذا ستة منهم في جانب التبرئة وستة في جانب الإدانة ، وهكذا تعجز عدالة الأرض عن الحكم في هذه الجريمة النكراء وهنا تتدخل الربة أثينا فتدلى بصوتها في جانب التبرئة ، وهكذا تكتمل الدورة المأسوية الأبدية: الجريمة ثم العقاب ، ثم الغفران ، ولكن من الجرائم مالا يمحو وزره إلا لطف السماء.

وتحمل مسرحية الذباب للجان لجان بول سارتر عرضا لبعض توجهاته الوجودية(1) قاصدًا بذلك صميم الحياة الإنسانية ومفرداتها اليومية وهذا ما تعنى به التربية تجاه الحياة ، والتربية في كل تجلياتها تدخل في خبايا مفردات حياة الإنسان الذي خلق حرا تلك الحرية التي تحتاج تنامي المقاومة ، والمسرحية بذلك تطرح العديد من القيم والأبعاد المهمة في تربية الإنسان المقاوم. فقد اعتاد النقاد النظر إلى مسرحية الذباب على أنها مسرحية مقاومة. وقد مثلت تحت سمع المحتل وبصره. فالأساطير التي تعالجها المسرحية قناع يخفي مضمونها السياسي عن أعين الرقابة.

1- تتلخص الوجودية في أن يسعى المرء أن يحقق ذاته وأن يمضى في الحياة وفق وجوده بقدر مسئوليته إذا كان حرًا من كل قيد ، ليحدد مصيره ويواجهه نفسه.

وهذا ما أكده سارتر ، وقال في هذا الصدد عام 1959: "إذا كانت المسرحية قد قدمت للرقابة الألمانية ، فقد حدث هذا بعد مناقشتها في اللجنة الوطنية للكتاب والسماح بعرضها" (أسعد ، 1987 ، 249).

وكان لجوء جان بولسارتر إلى استلهام أسطورة "أورست" لكي لا توقف سلطات الاحتلال النازي عرض المسرحية ومع ذلك أوقفتها بعد أن كشف لهم أعوانهم من الفرنسيين عن مغزاها (خميس وفؤاد ، 1968 ، 21). حيث عاود أورست إلى أرجوس وجد أخته "إلكترا" تعيش في تمرد سلبي مع أمها وعشيقها غاصب عرش أبيها. وأختار أورست تخليص مدينة أرجوس من الغاصب بالثأر وأعانته أخته أكثر على ذلك ، لكنها كانت تسير بشعور غير شعوره ، لقد صارت حياتها كلها أملا في الانتقام من الغاصب ، وانتظارا له ، ولكن هناك رغبة دفينةفي أعماقها ألا يتم فماذا تكون حياتها بعد ذلك؟ إنها تحيا على هذا الأمل ، فلما تحقق ، وقتل أخوها الغاصب ، وحرر شعب أرجوس منه ثارت عليه ، لقد أفقدها مبرر وجودها.

أما أورست فقد أثبت حريته من خلال عمله ، وأصبح يستمد ناموس الحياة من أعماقه ، إنه ليصرخ في وجه الإله "جوبيتر" قائلا: "إني إنسان ، وعلى كل إنسان أن يبتكر لنفسه الطريقة"(سارتر ، 1967 ،187). لكن من حق أي إنسان آخر أن يتساءل عن مصداقية الطريقة التي يبتكرها الآخر لتأكيد ذاته ،

وما حدود تلك الحرية بالنسبة للآخر بمعنى ما أوجه النفع والضرر التي يمكن أن تحيق بالآخر؟. ومع أن القصة تعكس لونا من فلسفة سارتر عن الحرية ، وابتكار الإنسان لها كما يريدها لا كما تراد له ، إلا أن لها مضمونا سياسيا ، لقد جعلها سلاحًا من أسلحة المقاومة ضد النازي ، وأتباع حكومة "فيشي" التي تحمل رسالة تقول: أقتل الغزاة ، أقتل عملائهم ، ولا تأخذك بهم شفقة ولا رحمة ، أقتل الطغاة ، ولا تقتل قلبك بالندم ، إن جميع الطغاة يخشون أن تشعر بحريتك ، أن يضع المستعبدون أيديهم على حريتهم ، كن حرا ، لأن الإنسان إذا أحس أنه حر كان السقوط هو مصير الطغيان المحتوم.

وهناك عدة أشياء لابد الإشارة إليها قبل رحيل أورست عن مدينة أرجوس بعد التخلص من الملك والأم الخائنة:

يرمز "الذباب" الذي يحاصر أهل المدينة في المسرحية إلى "آلهة الانتقام" وكثرة الذنوب لأنهم كما ذكر لم يثوروا من أجل مقتل أجاممنون.

أن أورست لم يشعر بالندم بعد مقتل الملك وأمه لأنه يتمتع بحرية الاختيار والفعل.

أن اختراع الملك عيد الندم ، أو الانتقال بالموتى كان له هدف سلطوي لتزييف وعي الجماهير ومن ثم إحكام السيطرة على أهل المدينة.

كما نلاحظ أن هناك تغييرا طرأ على المأساة الإغريقية بمعرفة إذ أراد سارتر في الذباب مآرب أخرى تحققت في شخصية أورست على وجه الخصوصوهذا التغيير هو:

مأساة أورست في الأسطورة اليونانية ، يقتل أورست إيجست وكليتمنستر لكي يطيع أمر الآلهة محققا رغباتهم.

في مسرحة الذباب لسارتر ، يعصي أورست أمر زيوس الذي كان أشار عليه بالرحيل عن أرجوس لكي لا يقتل الملك وأمه. ولكن إلكترا حفزته على الانتقام بشكل مقنع ، رغم ترددها في مقتل أمها. وأورست في مسرحية الذباب ، لا يريد الحكم ، وإنما كان هدفه السعي إلى تحقيق وجود الإنسان.

رابعا: أبعاد تربية المقاومة في المسرحية.

أسفر تحليل مضمون مسرحية الذباب "لسارتر" الكشف عن عديد من أبعاد تربية المقاومة ، والتي يمكن من خلالها الإسهام في بناء الإنسان المقاوم لكل ما يحول دون تأكيد ذاته وحريته. تلك الأبعاد التي تقدم لفكر المقاومة لدى سارتر المرتبط بالفكرة المحورية لديه وهى "الحرية"

1-التربية لوعي الإنسان بحريته وحقيقة دوره في الحياة:

هذا النمط من التربية يقتضي بالضرورة القيام بمهام أساسية لعل في مقدمتها ما يلي:

نقد الواقع المفروض ومحاولة مقاومة سلبياته.

تدور مهمة بناء الإنسان في جوهرها حول إكسابه الوعي بطبيعة الدور المنوط به في هذه الحياة ، ومقاومة كل ما يعوق هذا الوعي. هذا ووعي الإنسان بواقعه وتعرف وضعه المأساوي ونقده لهذا الواقع جزء كبير من تلك المهمة ، دون أن يفقد الأمل في محاولة مقاومته ، حيث يستمد كيانه من نقد هذا الواقع وكشف زيفه من خلال مواجهة موقفه وتشريحه. وهذا ما يبعث الأمل في النفس لا لشيء سوى أنه يجرد الحياة من مظاهر خداعها ، إنها الحقيقة التي يسعى إليها ، حيث توثق عرى الصلة بينه وبين كل ما يدفعه إلى تغيير هذا الواقع. وهذا ما أراده سارتر حين قدم "إلكترا" تحاول كشف واقعها والتفاعل مع الموقف دون خوف أو وجل حيث يعي الإنسان دوره ، ولعل الحوار التالي يمثل هذا الموقف على النحو التالي (سارتر ، 1967 ،73-74):

أورست: "خادمة؟ أنت؟

إلكترا: بل آخر الخادمات ، أغسل ثياب الملك والملكة الداخلية ، وهى ثياب قذرة دنسة تنضح بالقذارة ... كذلك على تنظيف الآنية ... على كل صباح أن أفرغ صندوق القمامة.

ثم تصف علامات الذل والانكسار التي يؤديها القس الأكبر أمام تمثال جوبيتر: وأذكر يوم جاء القس الأكبر ليؤدي ما تعود عليه من علامات الذل والاستكانة.

ثم يسألها أورست محاولا دفعها للفرار هروبا من واقعها(السابق ، 75-76):

أورست: ألم تفكري يوما في الفرار؟

إلكترا: ليست لدى هذه الشجاعة.. ويفزعني أن أراني وحيدة أطوي الطرق طياً...إني أنتظر شيئـــاً".

ويبدو من هذا الحوار رؤية يود سارتر من خلالها توعية المتلقي بدوافع مقاومة الواقع المفروض علي الفرد.

إيقاظ المشاعر والبحث عن الحقيقة:

يحاول سارتر توثيق عرى الاتصال الحواري المطلوب بين رموز المقاومة وبين الشعب المحتل والمغلوب على أمره فتثور عدد من الأسئلة الرمزية لإيقاظ المشاعر لمحاولة البحث عن الحقيقة تلك الأسئلة التي يحاول من خلالها تدوير الأفكار وتذكر ما قد حدث ، فها هي إلكترا (الشعب الفرنسي)لا تتمتع بحرية ما فهي ترسف في عبودية قاتلة. وسارتر بذلك يحاول التأثير مباشرة في الموقف حتى يصل الاثنان(أورست والكترا) إلى نقطة اتفاق تجمع بينهما بعد أن يتم تعارفهما للبحث عن الحقيقة فالحوار يسير بتلقائية ولكنه حوار مشبع بالكثير من طرح المطلق الميتافيزيقي

وسيطرة الحدث التاريخي ، حيث يسيطر المستوى الميتافيزيقي على المسرحية مع الحدث التاريخي الأمر الذي حاول سارتر أن يترك الخاتمةفي المسرحية يكتنفها الكثير من التساؤلات ، ويؤكد الحوار ذلك من خلال (سارتر ، 1967 ، 78):

إلكترا: "... سأسألك سؤالا أرجو أن تجيبني عنه ، لأني في حاجة إلى جوابه بسبب شخصي.. شخص أنتظر قدومه: أفرض أن شاباً من شبان كورنثة من هؤلاء الشباب الذين يمرحون مع البنات ، قد عاد من سفره ، فوجد أباه مقتولا وأمه في فراش القاتل ، وأخته ترسف في ذل العبودية ، أتراه ينسحب في سكون ووقار ، هذا الشاب الكورنثي؟ أتراه يتراجع القهقرى بعد أن يقوم بفروض التحية والتبجيل لبحث عن عزاء له لدى صديقاته؟ أم تراه يستل سيفه ، وينهال على القاتل حتى يحطم رأسه؟ ألا تريد أن تجيب؟

أورست: لا أدرى؟

إلكترا: كيف ذلك كيف لا تدري؟"

وسارتر بسؤاله هذا يحاول أن يدفع الإنسان أن يحدد اختياراته ، وعليه حين الاختيار أن يتقبل المسئولية ، مسئولية النتائج المترتبة على فعل الاختيار هذا من خلال إيقاظ المشاعر في إطار محاولة الاقتراب من حقيقة الأمر، لذا يرى سارتر أن وجود الأدب لا يبرره إلا تأثيره المباشر على الواقع ،

ومن ثم سوف يتجه أورست لتغيير هذا الواقع مدفوعاً من إلكترا والغاية التي يرى تحقيقها في وجوده. وللتربية دور كبير في تكوين هذا البَعد من أبعاد المقاومة ، حيث لديها من الآليات التي تنجح من خلالها في إيقاظ المشاعر ، وتمكين الإنسان من التماس الحقيقة والوعي بها.

مقاومة الوجود الزائف ، ورفض الاستسلام:

إن أولى خطوات التغيير الحقيقي هو امتلاك وعي نقدي يكشف عن زيف الواقع بأبعاده المختلفة ويرفضه ويقاوم الرضوخ لأمر الواقع السلبي والاستسلام له والتربية النقدية تعي ذلك وتحاول تنشئة الأفراد في ضوئه. وقدم سارتر أكثر من صورة لهذا الوجود الزائف في المسرحية فهذه صورة الحاكم "الملك" الذي يحاول إظهار عكس ما يبطن وذلك في الاحتفال السنوي بعيد الموتى أمام الشعب و"إلكترا" تدرك هذه الحقيقة ، ولكنها تستمد من ذاتها قوة تمسك عليها كيانها تقويها وتدبر أمرها ففي حوارها مع أمها كليتمنستر التي تدعوها للاستعداد بأمر الملكة إلى التواجد في الحفل السنوي بعيد الموتى كما العادة يطالعنا هذا الحوار الرافض للتزييف حيث يظهر الملك في هذا العيد غير ما يبطن(سارتر ، 1967 ، 80):

إلكترا: "أفي الحق أنى أميرة؟ إنكم لا تذكرون ذلك إلا مرة واحدة كل عام عندما يتطلع الشعب إلى رؤية لوحة من حياتنا العائلية ليتخذها له أسوة. ما أجمل أميرة تغسل الأنية وتحرس الخنازير! وإيجست أتراه، كحاله في العام الماضي، سيحيط كتفي بذراعه ، ويبتسم في وجهي ، وهو يسر بكلمات التهديد في أذنى؟

كليتمنستر: عليك أنت يتوقف إبدال هذا الحال.

ويؤكد سارتر من خلال "إلكترا" على عدم استسلامها ورفض هذا الاستسلام لواقع لم يكن لها فيه دخل ، فهي في حالة اغتراب عما يحدث فهي موجودة في عالم لا يدرك ما بداخلها ، عالم يضحي بالوعي مقابل تزييفه ، وهي بذلك لا تشارك فيه إلا مرغمة صاغرة (سارتر ، 1967 ، 80):

إلكترا: "نعم لو استسلمت إلى سم ندمكم ، لو استجرت بغفران الآلهة عن جريمة لم أكن من جناتها. أجل لو قبلت يدي إيجست ودعوته بأبي ، كلا ، إن أظافره لا تزال تخفي الدم المتجمد من خلفها.

كليتمنستر:اعملي ما شئت ، فقد يئست منذ زمن بعيد من أن أصدر إليك أمرَا، وهاأنذا أنقل إليك أوامر الملك.

وبذلك على الإنسان مقاومة التزييف من خلال منح نفسه أكبر قدر من الحرية في الرفض أو القبول ، فهو ليس مخلوق سلبي خالي من الشعور أو العقل حتى يخضع لسيطرة التزييف الماثل أمامه ، والذي يعمل كستار يحجب الحقيقة وأن رد فعل الإنسان يكشف عن مستوى ما من الحرية لها القدرة على فعل شيء وتتجلى هذه المعاني أيضًا في الحوار الدائر بين "إلكترا" وبين "إيجست" حول مراسم الاحتفال بعيد الموتى ، حيث تتصدى لجبروت إيجست وتلبس ثوبها الأبيضوفي هذا إشارة إلى محاولة تغيير الأوضاع السلبية ، والتربية تسهم في ذلك حيث أن غايتها القصوى غاية قيمية ، وأن تغيير الأوضاع يتطلب الإيمان بنسق قيمي يحض الإنسان على فعل وسلوك التغيير الايجابي. كما يتبين من الآتي(سارتر ، 1967 ، 105-106):

إيجست: "أجيبي ياإلكترا ، ما معنى هذا الثوب؟

إلكترا: لبست أفخر ثيابي. أليس هذا يوم العيد؟

القس الأكبر: أتستخفين بالموتى؟ هذا عيدهم، وأنت تعرفين.

فكان عليك أن تجيئي في لباس الحداد.

إلكترا: الحداد؟ ولماذا هذا الحداد؟ لست أخاف موتاي ، ولا شأن لي بموتاكم.

إيجست:فهل أنت إلا البرعم الأخير من شجرة ملعونة؟ آويتك إلى قصريإحسانا...ستعرفين مبلغ نكالي. بل ستضيق عيناك عن كل ما تنفجر به نفسك من بكاء.

الجمهور: تبَا للكافرة!

إلكترا: أمن الكفر أن يبتهج الإنسان؟ ما لهم لا يبتهجون ، هم أيضًا؟ من حرم عليهم هذا؟"

رفض العبودية من خلال الوعي بالحرية والموقف"فالوعي حرية":

عندما يقرر سارتر بأن العلاقة (السيد - العبد) تفضي إلى حرية السيد وسلب حرية الآخر ، فإنه يرى في ذات الوقت أن الحشود هم الذين يتنازلون عن حريتهم للسيد (للزعيم). ورغم أن سارتر يرى ضرورة للزعيم إلا أنه يؤكد أن العلاقة هذه لأبد أن تقوم على السيادة المشتركة – كما سبق أن أشار البحث – والتربية النقدية تسعى إلى تكوين هذا الوعي الذي يجعل من الإنسان رافضا لكل ما يرسخ استبعاده ويسلبه حريته. وأكد سارتر ذلك في الاحتفال بعيد الموتى كما هيأ الملك لشعب أرجوس تظهر إلكترا بثوبها الأبيض على غير العادة تواجه الملك الغاصب أيجست في شجاعة نادرة تعلن التحدي والتمرد رافضة أغلال العبودية التي كبلت بها(سارتر ، 1967 ، 106):

إلكترا: "أنى لك أن تتكلم عن أجاممنون؟ ألا تدرى أنه يطرق بابي ليلا ليناجيني؟ أتدري ما يسر في أذني بصوته الصاهل المتهدج من كلمات الحب والأسى؟ نعم إنني أضحك للمرة الأولى في حياتي ، إنني أضحك وأشعر بالسعادة: أتزعم أن سعادتي لا تغمر بالبشر قلب أبي؟ بل لو كان حاضرا ، لو رأى ابنتهفي ثوبها الأبيض ، ابنته التي صفدتها بأغلال العبودية ، لو رآها ترفع الرأس عالياَ ورأى أن الكوارث لم تنل من كبريائها ، ما حلم طرفة عين بلعنها ، بل لبرقت عيناه الشاخصتان في وجهه المشؤم ، وأفترت شفتاه الداميتان عن ابتسامة الرضا".

فإلكترا مندفعة لرفض القيد من خلال الوعي بموقفها المأساوي ، حيث نرى جان بول سارتر مهتما بالفعل وذلك من خلال جعل الإنسان الواعي بمسئوليته محور الحدث المربي ، فإلكترا تطلب حريتها ، وهى تحاول بذلك تجسيد موقف جماعي للمقاومة من خلال موقفها الفردي وإحساس كل فرد بمأساته التي يحياها بالزيف والخداع والوهم. وإلكترا بذلك تحاول الارتفاع فوق هوانها ، وهي بذلك تستأهل الوجود الذي تعيشه وبمواجهتها هذا الموقف يعد استجابة لحقيقة وجود يستشف منه المحاولة والسعي لصنع تاريخ أفضل وحياة أوفق.

التربية بالانتقاء الثقافي وحب التثقيف:

وٍيضمن جان بول سارتر مسرحيته الذباب مستويات عدة من أبعاد التربية الموجهة وعلى رأس هذه المُستويات البعد الثقافي وأهمية الثقافة كعنصر تربوي مشكل للعقل والوجدان ، وهو بذلك يجعل للثقافة مكانة هامة في نفوس البشر لأنها تبنى المثل والقيم العليا وتنشئ قيما جديدة ، كما أنها تجعل المرء في حالة تجاوب مع مستجدات الحياة محاولا إحلال قيم جديدة مكان قيم قديمة بالية ، والثقافة تزيد العبء الواقع على الإنسان ، لأن خياراته سوف تكون مسئولة تجاه نفسه والمجتمع ويشير النص أيضا لأهمية دور المعلم في تأكيد ما سبق(سارتر ، 1967 ، 63):

المربي: "وماذا فعلت بالثقافة ، يا حضرة السيد؟ إنها ملكك ، إنها ثقافتك جمعتها لك بحب وولع كما تجمع الباقة ، ونوعت أزهارها بحكمتي وكنوز تجاربي ألم أروضك منذ الحداثة على قراءة جميع الكتب لتألف نفسك اختلاف الآراء الإنسانية وعلى جوب مئات الدول دون أن أنسى توجيه نظرك في كل فرصة تسنح إلى أن عادات البشر وتقاليدهم قابلة للتغاير والتخالف؟"

والتربية بالثقافة فعل جدلي بين الحقوق والواجبات بين حقه في الانتقام ومسؤوليته تجاه أهل أرجوس ، حيث يصور سارتر في المسرحية حق أورست في الانتقام من قاتل أبيه ، فتصاغ المشكلة من خلال التضمين الأسطوري والواجب الذي يحاول تأديته تجاه أهل أرجوس ،

وهذا الفعل الجدلي يصبح مسئولية ، قد صاغتها ثقافته وتلك مواجهة تفضي إلى صراع حول الحقوق والواجبات. فسارتر يريد أن يغير العالم من خلال المسرحية بادئا بتغيير الواقع الماثل في المحيط الملموس وذلك بعدم فرض أيديولوجيا على المتلقي ، لكنه يحاول دمج المتلقى وجدانيا من خلال طرح المشاكل بدلا من حلها.

2-التربية لمقاومة ما يعكر صفو الحياة الإنسانية:

هذا البعد من أبعاد تربية المقاومة يتطلب القيام بما يلي:

أ - مقاومة الخوف ورفض زرعه في النفوس:

يطلعنا سارتر بأن أحد دعائم الاستبداد بكل صوره هو زرع الخوففي النفوس ، فالحاكم المستبد يزرع الخوف في شعبه. فيربى الملك الغاصب شعبه على الخوف الدائم المستمر ، بما فيهم الأطفال الصغار لقد زرع فيهم أن الخوف طريق الأمانة. ويظهر ذلك جليا من الحوار القصير بين أم وطفلها ، وقد هيأتهفي الاحتفال بعيد الموتى ليكون خائفا ويكون جاهزا للبكاء إذا طلب منه ذلك حيث (سارتر ، 1967 ، 91-92):

المرأة: "(تحبو على ركبتيها أمام ابنها الصغير): رباط الرقبة هذه ثالث مرة أصلح لك فيها عقدته. (تمسح ثيابه بيدها) ها أنت قد صرت نظيفا كن عاقلا، وأبك مع الآخرين إذا طلب إليك البكاء.

الطفل: أمن هنا يقدمون؟

المرأة: نعم.

الطفل: أنا خائف.

المرأة: يجب أن تخاف يا حبيبي ، وأن يعظم خوفك ، دون ذلك لا يكون المرء شخصا أمينا".

وفي موضع أخر من المسرحية يؤكد سارتر على هذا الخوف الذي زرعه الملك الغاصب في رعايا الملك أجاممنون(سارتر ، 1967 ، 94):

أورست: "ها هم ، إذن مواطنو أرجوس ، ورعايا الملك أجاممنون الأوفياء.

المربى: ما أقبحهم! انظر يا مولاي إلى لونهم الذي يشبه تماثيل الشمع ، وإلى أعينهم الغائرة هؤلاء الناس يموتون من الخوف ، وهذه عاقبة المنحرفين".

وكان لتضمين سارتر مسرحية الذباب عيد للموتى سنويا ليعبر عن الخوف الذي يظل مسيطرا على أبناء أرجوس(فرنسا) ، ويظلوا في حالة ندم وخاضعين لأن عدم ثورتهم على مقتل ملكهم المنتصر أجاممنون تعد خطيئة كبرى ، ويؤكد سارتر أن حالة القهر المفروض على أبناء أرجوس ماثلة في أجواء المدينة قائمة وقد حاول الجمهور الشكوى إلا أن الغاصب إيجست يلاحق ذلك دائمًا ، حتى إلكترا حاولت الاحتجاج (سارتر ، 1967 ، 97):

إيجست: "أيها الكلاب! كيف جرؤتم على الشكوى؟ أغاب عن ذاكرتكم ما تعلمون من حقارة شأنكم؟ وحق جوبيتر لأوقظن ذكرياتكم من سباتها (يلتفت إلى "كليتمنستر") يجب أن نوطد العزم على البدء بدونها (يقصد إلكترا) ولكن لتأخذ حذرها فإن عقابي صارم أليم".

و يطالعنا الحوار السابق على موقف لتجسيد حركات المقاومة الصاعدة والتي لا يمكن أن تصف بأنها مقاومة ذات برنامج تسير وفقه ، فاختراع إيجست عيد الندم (الموتى) أو الاحتفال بالموتى لكي يضمن حكما هادئا مستقرا ، فإن هناك بعض القوى التي لأبد لها من مواجهة الموقف حيث تمثل ذلك في "إلكترا" و"أورست" أي الجمهور الفرنسي وأعضاء حركة المقاومة. والتربية للمقاومة تحض الإنسان على الشجاعة في قول الحق ، وضرورة مقاومة الخوف ، فالعزم والقوة والشجاعة الممتزجة بالحق التي تغرسها التربية في النفوس تنشىء أجيال تمتلك الوعي مع الحرية الحقة ، والتي تعتبر صوت قاتل لكل ظلم ولكل استبداد.

ب - تربية التفاؤل والأمل في التغيير:

رغم ما يجابه الإنسان من صعاب في الحياة ، يظل الأمل ببزوغ فجر جديد ينعم فيه بالحرية وطيب الحياة دليل التربية المتفائلة ، والتي تدفع الإنسان للحياة دفعا وتفتح أمامه آفاق رحبة للنجاح. وهذا يحتاج إلى التقدير الجيد لأوضاع الواقع أو لأبعاد المشكلة أو حسن تقدير المواقف بشكل يسمح للتعامل معها بإيجابية ،

واستجلاء بعض أبعاد الموقف التي يمكن من خلالها استبصار النقاط المضيئة للانطلاق بالأمل والتفاؤل. وهذا ما أراد به سارتر تفسير خطاب إلكترا مع جوبيتر. فإلكترا" شقيقة أورست تحاول الكشف عن حقيقة "جوبيتر" فهي تعرف أنه قطعة من خشب لا فائدة منه ، وهى تقدم قرابين غير اللاتي يقدمنها القديسات فهي قرابين من بقايا عفنة من اللحم والخبز في يوم عيده وهى تأمل مؤكدة في حضور المخلص الذي سوف يشقه بسيفه شطرين حتى يعرف الجميع أن سيطرته عليهم نوعا من الزيف (سارتر ، 1967 ، 70):

إلكترا: "مخاطبة تمثال الإله جوبيتر (2) فخذ هذه الفضلات ، وكل ما في الكانونمن رماد ، وهذه البقايا العفنة من اللحم الذي يسرح فيه الدود ، وهذه القطعة المتعفنة من الخبز التي عافت أكلها الخنازير .. لأن ذبابك يشتهى كل هذا. عيد هنئ .. عيد هنئ ، وأتمنى أن يكون الأخير ، لو طاوعتني قوتي لقذفت بك على الأرض ولكن ليس في طوقي إلا أن أبصق عليك. لكن الذي أترقب حضوره قادم لا محالة متقلدا سيفه الكبير... فيلقى عليك نظرة ساخرة ، ثم يرفع سيفه ويشقك من أعلاك إلى أسفلك ، فينهار شطرا جوبيتر".

2- جوبيتر: إله الموت والذباب.

ما تمثله إلكترا في هذا القول ينم عن مقاومة ، حيث تجد في صوتها الوعي بموقفها المأساوي ، وهى تحاول إبعاد سيطرة جوبيتر المزعومة عن داخلها ، حتىلا يسيطر عليها الخوف والاستسلام ، ففي يقينها أن الخلاص قادم لا محالة ؛ فهي ليست ضعيفة القدر أو الشأن ، فهي بدأت مقاومتها بكشف زيف هذا الإله فهي تمضى التأمل في حيثيات وجوده المزعوم(سارتر ، 1967 ، 70-71):

إلكترا:" إن ضربة واحدة من سيف كفيلة بشطرك شطرين دون أن تنزف منك قطرة من دم. من خشب أبيض ؛ من جيد الخشب الأبيض مما يطيب للنار التهامه".

جـ - رفض الخيانة والخديعة بحجب قدرة الناس عن أعينهم(تزييف وعيهم):

يستطيع الإنسان أن يحقق المستحيل ، ولكن عندما تكون قدرته محجوبة عنه بفعل الخداع والتمثيل والزيف الذي يفرضه فعل القهر والاستبداد المرعب يمتنع الفعل الايجابي ، لأنه لم يمتلك إرادة هذا الفعل ، من ثم فإن مهمة التربية في تكوين وعي الإنسان تعني إكسابه إرادة الفعل (الحرية) ومقاومة الإرادات الأخرى الطاغية.

كما يتضح من الحوار التالي بين إيجست الملك المستبد وجوبيتر:(سارتر ، 1967150):

إيجست: "وايم الحق لو علموا ، لأشعلوا النار في أركان قصرى الأربعة هذه خمسة عشر عاما تنقضي ، وأنا أمثل أمامهم المهزلة ، لأحجب قدرتهم عن أعينهم".

يحاول إيجست تصوير ما يفعله من خلال مماثلة مع الإله حسب ما صور له الإله جوبيتر وبالتالي فعلى الشعب الانصياع لكل ما يفرضه عليهم: (سارتر ، 1967150)

جوبيتر: "ألا ترى أننا سواء؟

إيجست:سواء؟ بأي سخرية يدعى إله أنه وإياي سواء؟ منذ أن ملكت ، وكل أعمالي ، وكل كلماتي لا وجهة لها إلا تصوير صورتي ، أريد من كل واحد من رعاياي أن يحملها في نفسه ، وأن يحس حتى في وحدته نظراتي القاسية تنوى بأخف أفكاره. ولكنى كنت أول الضحايا ، فأصبحت لا أرني إلا كما يرونني".

فقد اقتلع "الملك" كل القيم من حياة الشعب ، فأصبح عالمه هو الآخر سخيفا حيث يبدو من حواره أن أعماله وأفعاله سوف تنتهي إلى الاضطراب والارتباك ، والقلق والموت والعذاب واليأس ، وهذا ما سوف يحدث في نهاية المسرحية حيث سيلقى حتفه مع الأم الخائنة على يد أورست ، وفي ظل هذه الحياة لابد أن يبدو بصيص من النور وسط الظلام الحالق ، ونجد من يقدر الكرامة الإنسانية ، وقدسية الحياة حيث تتبدى الحقيقة التي لا مفر منها ، ويبقى الأمل في الخلاص ، حيث تنتهي الغفلة وتعود للناس قدرتهم ، ويرى كل إنسان نفسه على ما هو عليه في حقيقته وقد ذهبت عنه الأوهام.

هـ - رفض الخنوع والتخاذل والاتجاه لمقاومة القهر.

يعبر سارتر عن استيائه من الإنسان الخانع والمتخاذل ويدعو إلى الجرأة في قول الحق ومقاومة الظلم مهما كانت العواقب. مما يدعم حرية الإنسان ويصون كرامته ، والتربية التي تسعى إلى ترسيخ هذا الأمر ، فإنما تسعى إلى الارتقاء بالإنسان إلى حيث مكانته الصحيحة. وقد اتضح ذلك لدى سارتر عندما عبر عن استيائه من الشعب الفرنسي خاصة المتخاذل منه ، حيث السكوت على الذل والمهانة من المحتل ...ففي الحوار الدائر بين أورست وجوبيتر يظهر أورست رفضه وسأمه من أهل أرجوس (فرنسا المحتلة) التي كانت شيمها الصمت على المهانة وقهر المحتل واستعباده ولم تقل كلمة حق تدافع عن وجودهاكما يلي (سارتر ، 196752-53)

جوبيتر: " ...سكت الناس ولم يقولوا شيئا ، لأنهم لما سئموا الحياة الإقليمية الراتبة أرادوا أن يسروا عن أنفسهم بمنظر موت عنيف. لم يقولوا شيئا عندما طلع الملك أجاممنون على أبواب المدينة. ولم... وكانت كلمة واحدة في ذلك الحين تكفي ولكنهم سكتوا جميعًا.

أورست: وأنت أيضا ، ألم تقل شيئا؟

جوبيتر: أما أهل أرجوس فلم يقولوا شيئًا أيضًا لما أصبح الصباح وسمعوا الملك يعوي في القصر من وقع الألم ، بل أغمضوا أجفانهم على أعين تستمرىء اللذة".

3-التربية لحب الوطن والانتماء إليه:

هناك علاقة ترابط بين المقاومة والمواطنة وبعض المفاهيم المرتبطة بهما كالانتماء يساعد في فهم العديد من القضايا كحب الوطن والانتماء إليه ، مما يعبر عن جانب من جوانب دعم تربية المقاومة والذي يحث الإنسان نحو الدفاع عن الوطن ومقاومة كل ما يمكن أن يعرضه للخطر . وهذا يتطلب بشكل أساسي:

رفض استباحة الوطن:

إن الدفاع عن مقدرات الوطن واجب وطني على كل فرد ينتمي إليه وينعم بالعيش فيه. وإذا طغى على المجتمع طابع الاستسلام ، ومن ثم انعدمت لديهم المقاومة فالمحتل أو أي رمز من رموز الاستبداد يتربع على العرش ، وقد يتعود الناس على عاداته إذ انعدمت المقاومة. وقد أظهر سارتر ذلك من خلال ما أدى إليه مقتل أجاممنون على يد الملك إيجست والزوجة الخائنة أن صارت أرجوس مدينة يحكمها الخوف والرعب الذي زرعه أيجست وتحولت إلى مدينة مستباحة ويتضح ذلك من الحوار التالي(سارتر ، 1967 ، 52):

جوبتير: "…. إذ لست من أهل هذا البلد ، وكل هذه المسائل لا تعنيني أما أهل أرجوس فلم يقولوا شيئا أيضا ، لما أصبح الصباح وسمعوا الملك يعوى في القصر من وقع الألم ، بل أغمضوا أجفانهم عن أعين تستمرىء اللذة ، وصارت المدينة جمعاء كامرأة تعاقرها الشهوة.

أورست: وها هو القاتل يحكم وقد تمتع بخمسة عشر عاما من السعادة. لشد ما كنت أؤمن بعدل الآلهة".

وسارتر الأديب الملتزم وصاحب نظرية الأدب الملتزم ، يعمد من خلال ذلك خلق تواصل مادي من خلال عملية التلقي ، مصحوبا بالتواصل الجمالي ، كما نرى في الحوار السابق بين جوبيتر و أورست ويعقب أورست مستعيدا في ذاكرة اغتصاب العرش مؤكدا أن هناك عدالة إلهية سوف تحقق.

ب - رفض فكرة إخضاع الشعب واستخدام العنف:

لتأكيد حب الوطن والانتماء إليه كبعد ضروري من أبعاد تربية المقاومة لدى الإنسان ، لابد أن تتأكد على الجانب الآخر إرادة الشعب واحترام هذه الإرادة ومقاومة آليات تزييف وعيه وإرادته برفض إخضاعه واستخدام العنف تجاهه. ويؤكد سارتر ذلك من خلال حثه على رفض أساليب الملك إيجست في استخدامه للعنف والرعب في إخضاع سكان المدينة ويتضح هذا من حواره مع كليتمنستر (سارتر ، 1967، 138):

كليتمنستر: "ماذا بك؟

إيجست: ألم ترى بعينيك ، فلو لم ألق الرعب في قلوبهم ، لتخلصوا من ندمهم كل طرفة عين.

كليتمنستر: أهذا مصدر قلقك؟ في وسعك أن تكبح جماحهم متى شئت.

إيجست: هذا جائز ، لا أحد أمهر منى في لعب هذه المهازل (هنية). إني آسف على أن اضطررت إلى عقاب إلكترا.

كليتمنستر: لأنها ابنتي؟ لقد طاب لك أن تعاقبها ، وكل ما صدر منك حسن في عيني.

إيجست: ليس من أجلك ما أسفت أيتها المرأة.

كليتمنستر: لماذا إذن؟ وأنت لا تحب إلكترا.

إيجست: لقد سئمت. فهذى خمسة عشر عاما تنقضي ، وأنا أطوق بذراعي شعبا كاملا لأمسكه على الندم ، هذه خمسة عشر عاما ، وأنا ألعب دور الشاخص الذي يخوف به الطير وهذه المسوح السود قد نضحت على نفسي".

لو تأملنا الحوار السابق نجد أن هناك مواصفات يتجلى بها الحكم الاستبدادي والحاكم القاهر القامع لإذلال شعبه وحمله على الرعب تمهيدا لإحكام السيطرة عليه من هذه المواصفات:

إلقاء الرعب في قلوبهم من خلال الندم.

المهارة في خلق المواقف الهزلية استخفافا بهم لإقناعهم بأشياء غير منطقية.

العقاب المتواصل الذي لا ينقطع كآلية ضبط وتخويف لإقرار الخوف وتمكينه في قلوب الشعب.

هذا الرعب الذي يفرضه الحاكم يفقد الإنسان كل ركائزه التي ألفها وألفته ومن ثم فإنه يضطر إلى السعي إلى ركائز أخرى جديدة ، هذه الركائز الجديدة سوف تفي بغاياته لكي يرتفع فوق هوانه ، ومن ثم يستطيع الإنسان أن يجرد الحياة من مظاهر خداعها في الوقت الذي يميل فيه إلى تأصيل قيم جديدة تؤسس للمقاومة والفعل ، بعيدا عن التمسك بأهداب الزيف والخداع والاستمرار في المهزلة إنها الحقيقة التي تتوق إليها النفس البشرية مهما كانت بعيدة ، أو متناثرة في الوغى ، حيث تكون المحاولة والسعي إليها وحدها دون غيرها. والتربية التي تسعى إلى تأسيس وترسيخ تلك القيم التي ترتكز عليها أفعال المقاومة ، هي تلك التي تسعى إلى تحرير الإنسان وإرساء حريته وبنائه.

جـ - التربية بالانتماء (بالحنين والعاطفة):

يمثل الانتماء في المسرحية قيمة مهمة ، حيث يؤكد سارتر أن الإنسانفي موطنه يشعر بقيمة وجوده حتى لو كان عبدًا مكدودا فالانتماء لبقعةمن الأرض تبعد المحنة عن الإنسان فعاطفته إليها جياشة ، لأنه في بعده عن أرضه يقع ضحية النفس والأسر فتصبح إرادته معدومة حاملا عبء غربته عن أرضه. كما يطالعنا سارتر بذلك في موقف أورست تجاه وطنه الأصلي

أورست: "لم يبق لي إلا هذه الفرصة ، فلا تحرميني إياها ، ياإلكترا.

الرجال: انظري إلى العبد يمر مكدودًا عابسًا يرزح تحت حملة الثقيل ، يجر ساقيه ، وينظر إلى قدميه ، لا إلى شيء غير قدميه ، ليأمن الزلل ، العبد في مدينة ما، وهذه حاله كالورقة بين الورق والشجرة في قلب الغابة ، تحيط به أرجوس ثقيلة قائظة ، مليئة بنفسها ، أريد أن أكون هذا العبد يا إلكترا".

فرغم المناخ الخانق الذي يمكن أن يشعر به أي إنسان في وطنه ، إلا أن الانتماء إليه قيمة يحملها الإنسان (أورست) في داخله ، وهذا ما أراد سارتر قوله حينما أطلعنا على مشاعر أورست. إذ يعرف جيدا لماذا عاد إلى مدينته (وطنه) وقد تستدعي الأزمات وكثرة الطغيان - خاصة إذا كان من المحتل للوطن – الجانب الآخر لدى الشعوب وهو التمسك بتراب الوطن والذود عنه والتضحية من أجله حتى الموت

مهما كان المناخ في الأوطان ظالما. فالمدينة بحاكمها الطاغية (إيجست)، لا يقيم وزنا للكرامة الإنسانية ، لذلك تعلم أورست الحنان على الغير والقلق من أجلهم ، فتراه يمعن التأمل في ظلم النظام الاجتماعي ، كما أشارفي حواره. لذلك يتدبر أمر أهل المدينة ، ولا يكترث قليلا أو كثيرا بما سوف يحدث له لأن انتمائه يدفعه إلى التضحية ورفع الظلم عن أهل المدينة ، فتقوده عاطفة الانتماء المبنية على الإدراك.

ويدخل سارتر إلى منطقة الذكريات والحنين وكيف يمكن تحقيق مرام معينة من خلالها لدى الإنسان حيث نرى ذلك واضحا في حوار المربي وأرست فنجئ أورثت لأر جوس يحمل عودة للثأر ودفع الظلم ، حاملا ذكرياته وحنينه بين جوانحه(سارتر ، 1967 ، 62):

وأرست: "... هذا هو قصري ، فيه ولد أبي ، وفيه قتلته عاهر مع ديونها وفيه ولدت أنا أيضا ، كنت قد ناهزت الثالثة من عمري ، لما حملني جلادو إيجست ، لا ريب أننا عبرنا هذا الباب ، وقد حملني أحدهم بين ذراعيه. ولعلى كنت مجهشًا بالبكاء... آه لم يبق في نفسي من كل ذلك أيسر ذكرى ، ها أنا أرى مبنى ضخمًا صامتًا مجللا بهيبته الريفية... إني أراه لأول مرة".

فأرست يقاوم اليأس والهزيمة ، فهو يحاول أن يعطى شكلا لحياته حيث تسيطر عليه حقيقة اغتيال والده الملك في نفس الوقت الذي نفي فيه خارج البلاد وهو طفل صغير تعهده مربي له فهو يعيش لحظة الوعي بذلك ، كما أن صفة الزمن ذاتها تجعله لا يستجيب إلى اليأس والهزيمة ، فالخطوة الوحيدة التي يفكر فيها كيف يصل إلى قاتل أبيه ، فالزمن يسير وهو لا يستطيع إيقافه ، ولكن يمكنه أن يهزم الطاغية بعد أن يلقاه ، مستشعرا تلك الذكريات وذاك الحنين.

هذا ويظل إرساء حب الوطن والانتماء إليه عبر العصور ، من أهم المبادئ التي تلعب التربية دورا كبيرا في إرسائها في النشء ، عبر وسائل وآليات متنوعة والتي تمثل الدرع الواقي للوطن وأبنائه على السواء لمقاومة أعدائهما.

4 - التربية لغرس وإنماء القيم المربية:

الغاية القصوى من التربية غاية قيمة ، وتربية للمقاومة تقتضي نسقمن القيم (المربية) ، حيث تمثل أدوات للضبط الداخلي (مقاومة) وموجهات لسلوك الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين. والتربية بحاجة إلى تكوين هذا الضبط أثناء عملية التنشئة الاجتماعية للفرد من خلال تكوين هذا النسق من القيم المربية الحاكمة لسلوك الفرد ، حيث يتشكل في ضوئها لمقاومة سلبيات الواقع عمومًا وكي تكون جزءًا من تكوينه يتضح في أفعاله.

ونرصد من هذه القيم التي أسفر عنها التحليل:

أ-حرية الفكر والعمل

تمثل "الحرية"محور ومرتكز أساسي في فكر سارتر تدور في فلكها أفكاره الأخرى المتعلقة بالالتزام والمسئولية والاختيار الحر وغيره. وسارتر إذ يدعو لتأكيد الإنسان لذاته وتحقق ماهيته ، فإن ذلك في إطار من الاختيار الحر فكرَا وعملا. والتربية التي لا يكون غايتها تحقيق حرية الإنسان والسعي لتحريره من رقبة استعباده ومظاهر الظلم والاستبداد ؛ تفتقد لمقومات وجودها ويفقد معها الإنسان وعيه وحريته وتهدم مبدأ وقيمة المقاومة ، من ثم يحاول سارتر أن يؤكد على ضرورة تعلم حرية الفكر وامتلاك إرادة الفعل. فيقدم وأرست وهو يحمل طابع المحبة ويتمثل الثورة في داخله محاولا بذلك تحقيق شخصيته الإنسانية في عالم لا إنساني ومن خلال الحوار التالي (سارتر ، 1967، 61):

وأرست: "أعفني من فلسفتك ، فلقد بالغت في إيذائي.

المربي: إيذاؤك! أمن الإيذاء أن يلقن المرء حرية الفكر؟ آه لشد ما تغيرت".

وفي حوار فلسفي دار بين إيجست ملك أرجوس وجوبي تر إله الموت والذباب، حيث يتضح التناظر بينهما ومدى استلابهما لحرية الناس ومدى وعيهما بخطورة امتلاك الشعب لحريته.

من ثم يطالعنا سارتر بأن الزيفكل الزيف في عدم وعي الإنسان بهذه الحرية وحجبها من قبل أي سلطة غاشمة أو مستبد طاغية - الاحتلال النازي- حيث المحاولات المستمرة لتزييف الحقيقة (سارتر ، 1967، 149-150):

جوبيتر: "... كلانا يسعى إلى أن يسود النظام. أنت في أرجوس ، وأنا في العالم. السر الذي يوقر قلبي هو عين السر الذي يوقر قلبك.

إيجست: ما لدى من سر.

جوبيتر: بلى عين ما لدى سر الآلهة والملوك الأليم.ذلك أن الناس أحرار. أحرار يا إيجست. أنت تعلم ، وهم لا يعلمون.

إيجست:وأيم الحق لو علموا ، لأشعلوا النار في أركان قصري الأربعة. هذه خمسة عشر عاما تنقضي ، وأنا أمثل أمامهم المهزلة ، لأحجب قدرتهم عن أعينهم".

ويستمر حوار الحرية وخطورة وعي الناس بها على المستبد الظالم ، زمن ثم يتفنن في أساليب القمع والكبت للحريات. من هنا تأتي أهمية وعي الإنسان بها فيقول جوبيتر مواصلا الحوار مع إيجست(سارتر ، 1967، 152):

جوبيتر: "...أمرتك بما هو آت: أن تقبض على وأرست وأخته.

إيجست: هل بلغ خطرهما هذا الحد؟

جوبيتر: وأرست يعلم أنه حر.

إيجست: (منفعلا) ، يعلم أنه حر! إذن لا يكفي أن يكبل بالأغلال، لأن الرجل الحر في المدينة كالشاة الجر باء في القطيع.

جوبيتر:إن الحرية إذا تفجرت في روح إنسان ، لم تستطع الآلهة شيئا ضد هذا الإنسان. وغنما على غيره من بني البشر أن يتركوه يجول ويصول أو أن يخنقوه".

وينتقل حوار الحرية بين أورست (رمز المقاومة) وأخته إلكترا(رمز الشعب الفرنسي المغلوب على أمره) حيث الحرية فكر وفعل واختيار. فبعد قتل الأم الخائنة(رمز الخيانة لحركة المقاومة) وجد أورست في هذا الفعل حريته في حين تظل إلكترا تائهة لا تشعر بهذه الحرية(سارتر ، 1967، 160):

أورست: "إني حر يا إلكترا. انقضت على الحرية انقضاض الصاعقة.

إلكترا: حر؟ أما أنا فلا أشعر بأني حرة.

أورست: أتظنين أني أريد محوه؟ لقد فعلت فعلي يا إلكترا ، وهو فعل حسن سأحمله على كاهلي كما يحمل المسافرين عابر الماء ، وسأعبر به إلى الشط الآخر لأقدم عنه الحساب. وكلما ثقلت على حمله قرت به عيناي ، لأنه هو حريتي وحريتي ليست شيئا سواه".

وفي إطار الحرية فعل إرادي واختيار (إرادة المقاومة) فقد رفض أورست البقاء في المدينة واختار الرحيل، بعد إن خلص أهل أرجوس من الملك الظالمومن ظنونهم وقيودهم التي كبلوا بها أنفسهم . وحررهم من قيد أفكارهم الزائفة كما حرر وعيهم وأرضهم من الذباب(رمز الذنوب والمساوىء) وكشف لهم مثالب صمتهم المخزي وأفعالهم التي دفعتهم إلى الندم ، ثم اختار بحرية ، وأن يرحل ويترك الناس ليقرروا مصائرهم بأنفسهم.

فيقول أورست(سارتر ، 1967، 198- 199):"... والآن ها أنتم أولاء أمامي تلتهمني أبصاركم ، وقد فهمتم أن جريمتي هي جريمتي وإنا صاحبها ؛ أصر أمام وجه الشمس على نسبتها إلى ، وهى كنه حياتي ومعدن كبريائي ، وأنكم لا تملكون لي ثوابا ولا عقابا. ومن ثم كان خوفكم إياي. ومع ذلك فأني أحبكم أيها الناس...أريد أن أكون ملكا لا أرض له ولا رعايا".

ب – محاسبة النفس بعد ارتكاب الإثم تحرر:

يريد سارتر أن يؤكد على ضرورة أن يحاسب الإنسان نفسه حتى يتوب عن آثامه. ففي حوار جوبيتر مع أورست ، يدعوه إلى الرحيل عن المدينة ، فيؤكد له أن المدينة نصفها ميت يقلق الذباب ساكنيها ، وأهلها من كبار الإثمين ، وقد استقاموا في طريق التوبة وسارتر بذلك يؤكد على حقيقة مفادها أن الإنسان لا يستطيع أن يهرب من نفسه ،

وأنه لابد له أن يكون أمينا في لقائه لها وتعبيره عنها، فالسير في سبيل محاسبة الذات تحرر ، و تحقق للوجود في الحياة ، لذلك فالمدينة تعيش حالة التكفير عن الذنب (سارتر ، 1967، 58):

جوبيتر: "أيها الشاب أذهب من حيث جئت... فخير ليك أن تفعل ذلك من أن تكون ملكا على مدينة نصفها ميت ، ... يقلق الذباب ساكنيها ، أهلها من كبار الأثمين ، ولكنهم قد استقاموا في طريق التوبة".

جـ - طهارة الروح:

يؤكد سارتر على أن طهارة الروح تتوافر في الإنسان الذي لا يرتكب الإثم ولا يشارك في صنعه أو الدفع إليه ، لأن الإنسان بذلك يستطيع أن يميز بين نفسه الحقيقية المحبة للخير ، ونفسه غير الحقيقية الماضية نحو الإثم. ومن المهام الأساسية للتربية تزكية الروح وطهارتها بالبعد عن الآثام بالاندماج في الأنشطة التي تدعم الحفاظ على صفائها ، ومن ثم مقاومة ما يعكر هذا الصفاء ، ويتضح ذلك من الحوار التالي(سارتر ، 1967،58):

جوبيتر: ".... أرحل على إطراف أصابعك ، فإنك غير مستطيع أن تشاطرهم توبتهم ، لأنك لم تشاركهم في إثمهم ، وأن طهارة روحك السافرة لتحفر بينك وبينهم هوة بعيدا غورها.

فهم يتوبون عن ارتكاب إثم ترك ملكهم أجاممنون الذي عاد منتصرا ليموت على أيدي غاصبه ، وقد أدى ذلك إلى وخز ضميرهم مكفرين عن خطاياهم".

د - السلام بين البشر يحقق السعادة:

يقدم لنا سارتر في هذا الإطار مفهوما خاصا للعيش في سلام ، فالإنسان لا يستطيع أن يهرب من ذاته ، وأنه لابد له أن يكون أمينا في لقائه لها وتعبيره عنها فهو يسعى أن يحقق وجوده في الحياة ، ويحاول تحقيق سلام بين الجمهور من خلال إقناعه بنفض الوهم الذي يعيش فيه إلا أن هناك من يحاول أيضا إغراق هذا الجمهور في هذا الوهم وإشعال نار الحرب ، وهو ما يعبر عن إرادة المقاومة ضد إرادة أخرى طاغية. فها هو "القس الأكبر" يحاول جاهدا إبعاد الجمهور عن الالتفاف حول "إلكترا" ويصفها على أنها قطعة من الكفر(سارتر ، 1967، 109-110):

القس الأكبر:"قلت لكم يا أهل أرجوس ، إن هذه المرأة قطعة من الكفر ، فويل لها وويل لمن يصغى إليها معكم.

ولكن إلكترا تدخل في تحدى صارم بينها وبين الملك ورجاله:

إلكترا: موتاى الأعزاء ، أختي الكبرى إيفيجينى ، وأنت يا أجاممون ، أبي ومليكي ، الذي لا مليك لي سواه ، إن كنت قطعة من الكفر ، وإن كنت قد آذيت روحيكما الكئيبتين ،

فعجلا بإظهار آية حتى أكون على بينه من أمري. أما إذا سركما مسلكي ، فإني أتوسل إليكما يا حبيبي أن تلوذا بالصمت ولتكف أوراق الشجر عن الخفيف ، وغشيت الأرض عن التمايل ، حتى لا يعكر معكر صفو هذا الرقص المقدس ، لأني أرقص للحبور ، أرقص لسلام البشر ، أرقص للسعادة والحياة. يا فقيديٍّ أسألكما السكون حتى يعرف جميع من يرونني أن قلبيكما معي".

الموتى صامتون ، وبدأ زيف الملك ورجاله واضحا ، وبدأ بيان حقيقة كذب الملك وادعاءاته ، وقد بدأ الجمهور يشعر أنه يعيش في عالم طابعه الزيف ، وبذلك تولد لديهم القلق من جراء الكشف عن تلك الحقيقة ، حيث يقع الناس على الحقيقة ، ومن ثم الرغبة الطاغية في محاولة التخلص مما يقعون فيه.

تريد الشعوب غالبا حياة يغلفها السلام خالية من الخوف والفزع ، حياة السعادة فيها غاياتهم. لكن طبول الحرب القائمة في أي وقت (لقاء الموتى كل عام حسب وهم الملك) يجعل الخوف والفزع متواصلا في حياتهم فهم لا يشعرون بسعادة ما ، ولا يلتمسون متع الحياة ، فهم يعيشون طابع المحنة التي تجلب الفزع إلى النفس حتى صاروا ضحية الطاغية الذي محا وجودهم. وهذا يوجه رسالة إلى التربية لأهمية أداء دورها في تحقيق وعي الإنسان ومقاومة ما يحيط به من خرافات تستلب وعيه وسلامه وسعادته.

هـ - رفض التسامح المشوب بالتخاذل والخنوع:

يمثل التسامح قيمة كبرى في حياة الفرد والجماعة ، مع الذات والآخر ، إلا أن التسامح يتطلب ظروفًا عادلة وكريمة حتى يتحقق دون خنوع وتخاذل ويتنامى حوار صاعد لدى سارتر كما يتبدى بين الأم كليتمنستر وابنتها إلكترا يعربان فيه عن البغض والكراهية الواضحة إلا أن عاطفة الأمومة تبدى مظاهرها أمامنا ومحاولات الدفع نحو التسامح تفشل طالما تظل ظروف الذل والقهر قائمة ،ويظهر ذلك من خلال هذا الحوار(سارتر،86،1967):

كليتمنستر: "إنما أكره فيك نفسي يا إلكترا ، وليس شبابك أوه كلا ، بل شبابي.

إلكترا: أما أنا فأكرهك أنت ، أنت بذاتك."

كما تحاول الأم أن تدفع أورست إلى الرحيل عن المدينة فلا مبرر لوجوده بينهما. ورغم تنامي الحوار بالشكل السابق فإن الأم بعاطفتها تخاف على أبنتها فتلك حقيقة فهذا العواء بين الأم وأبنتها عداء ضمني لأنه مرتبط بواقعة تخص الاثنين إلا أن عداء الأم تغلفه الرحمة وعاطفة وحنان الأمومة ويتضح ذلكمن الحوار التالى(سارتر ، 1967 ، 86):

كليتمنستر: "الأورست: إن قوانين المدينة تفرض علينا إكرام الضيف ، لكن لا أخفي عليك أني أتمنى رحيلك ، وأما أنت يا بنيتي ، أما أ نت يا صورتي الصادقة الوفية ، فإني لا أحبك. هذا حق لا ريب فيه. ولكنى أفضل قطع يمناي على أن أمدها إليك بالأذى. أنت على يقين مما أقول وتسرفين في استغلال ضعفي ، ولكني أنصحك ألا تشهري سم رأسك أمام إيجست ، لأنه يعرف كيف يقصم ظهر الأفعى بضربة واحدة من عصاه. تدبري قولي وأنفذى أمره وإلا فعلى سلامتك العفاء.

وهذا ما أراد سارتر تصويره للعلاقة بين الفرنسيين الخائنين لفرنسا والكارهين لها ، والجماهير من خلال بثهم السم لهم ، والنصح بالاستسلام للألمان الأقوياء. وإن كان النص يحمل في طياته تسامح مشوب بالتخاذل ونصح بالخنوع ، لا يقبله صاحب مبدأ وصاحب قضية ما ، دفعته التربية التي خضع لها لامتلاك هذا المبدأ المقاوم.

ز- العيش في أمان ودون تزييف:

يتطلع الإنسان في كل زمان ومكان أن يعيش حياته في حرية وأمان رافضا القيد الذي يغل حياته ، فالتطلع إلى هناء الحياة وسعادتها مطلب جميع البشر فقد أطلعنا سارتر في المسرحية على كثير من مشاهد رغبة الإنسان في هذا الأمان فجعل الملك إيجست حياة الناس نوم وعذاب ويأس حيث يعيشون في حالة من حالات النوم الدائم والحزن الدفين والخوف القاتل ، إلا أن إلكترا في يوم عيد الموتى، قد كشفت النقاب عن حقيقة الحياة الجميلة

فالعيش في حرية وأمان ما يتمناهما أي إنسان في حياته. فكان أهل أرجوس يخضعون طواعية للآخر ويتخلون عن عيشهم في حرية ، حتى أصبحت أرجوس يؤمها الذباب ويؤرقها فطغيان الملك في جعل الشعب قطيع أفقدهم العيش في حرية في ديارهم ، وانتزع من نفوسهم الأمان وصارت حياتهم فوضى حيث الذباب"الذنوب" يطاردهم في كل مكان إلا أن إلكترا تؤكد لهم زيف ما يفرضه الملك الغاصب إيجست وهاهي في عيد الموت وأمام الجمهور تحفزهم على "المقاومة" ورفض ما يعيشون فيه من طغيان وفوضى وتدعوهم إلى التمتع بالحياة من حولهم(سارتر ، 1967 ، 108-109):

إلكترا: "ما أجمل الجو في كل بقعة من بقاع السهل ، يحيا أناس آمنون يرفعون إلى السماء رؤوسهم ، قائلين ، والبشر ينير وجوههم: "ما أجمل الجو!" وأنتم يا جلادي أنفسكم ، أنسيتم هذا البشر المتواضع ، بشر الفلاح يمشى على الأرض ويقول" "ما أجمل الجو!"؟ ها أنتم أولاء مغلولي الذراعين ، مطأطئ الرءوس تكادون أن تمسكوا أنفاسكم عن الخروج.

لصقت بكم أمواتكم ، فظللتم جامدين مكانكم تخافون أن يتساقطوا لدى أيسر حركاتكم. وهذا ما ينغص حياتكم ؛ أحق أما أقول؟ لو مد أحدكم يده فأحس نفحة من بخار ندى لظنها روح أبيه أو أحد أسلافه. انظروا إلى طليقة الذراعين فسيحة النفس ، أتمطى كمن يستيقظ من نومه ، واشغل مكاني تحت الشمس ، كل مكاني تحت الشمس.

أرأيتم أن السماء قد خرت على رأسي؟ ها أنذى أرقص وأتمادى في الرقص ، فلا أحس غير النسيم يهب فيداعب شعري ، فأين الموتى؟ أتتوهمون أنهم يرقصون معي على نغمة الموسيقى؟"

وإلكترا تمتلك يقينا يدلل على كذب وزيف ما ترى أمامها في يوم عيد الموتى فهي تأمل في لحظات يعود فيها الجمهور بوعيه ليدرك أن الحياة دون حرية لن يعيش فيها ويشعر بالأمان ، ولا تصح أن تكون حياة. والخلاص يكمنفي استردادهم لوعيهم من قاع الوهم ، وكأن سارتر يقرر أن الشعب له دور كبير فيما هو عليه من مآسي وعليه دور كبير أيضا في تخليص نفسه من الظلم والقهر في وجود منظم لهذه المقاومة في ظل سيادة مشتركة كما المح البحث سابقا في فكر سارتر عن الزعيم.

وسارتر في هذا الموقف يحاول أن يضع الإنسان ودوافعه موضع الاختبار وفي ضوء الحقيقة ، والحقيقة وحدها ، فهو يحاول إفراغ يقين الإنسان من المعتقدات الوهمية والتقليدية التي تعود عليها ليلتمس عند نفسه العون. وهذه قيمة مهمة تستطيع التربية غرسها في النشء وتجرده من عوامل وهنه لتدفع به إلى مواجهة ذاته والحياة.

حـ - القصاص لتحقيق العدل والكرامة:

وتصل مسرحية الذباب لنهايتها المقدر لها أن تحدث بإختيارمقاومة الطغاة بالانتقام والقصاص منهم فقتل أورست الملك وأمه الخائنة مغتصبي عرش أبيه أجاممنون ، حيث تشاركه أخته إلكترا من خلال تشجيعها له وحثه على الثأر(سارتر ، 1967، 154):

إلكترا: "(وهى تندفع نحو الباب) أطعنه. لاتتح له فرصة الصياح ، سأحكم إغلاق الباب.

إيجست: أهو أنت يا أورست؟

أورست: أدفع عن نفسك.

إيجست: لن أدفع عن نفسي ، فقد فات أوان الاستغاثة وأنى لسعيد أن فات أوانها ، لن أدفع عن نفسي ، لأني أريد أن تبوء بإثمي.

أورست: حسن جدا لست أبالى بالوسيلة ، فلأدع إذن من أهل الفيلة (يطعنه بسيفه).

إيجست: (مترنحا) ، لم تخطئ مرماك. (متعلقا بأورست دعني أتأملك ، أفي الحق أنك معصوم من الندم).

أورست: الندم؟ ولماذا هذا الندم؟ إنما صنعت ما هو عدل.

إيجست: العدل ما رأى جوبيتر. لقد كنت مختبئا هنا وسمعت ما قال.

أورست: ما بال جوبيتر وبالى؟ العدالة من شئون البشر ، ولست في حاجة إلى إله ليلقني ذلك ، العدل أن تسحق أيها الداعر ، والعدل تخليص أهل أرجوسمن سلطانك ، والعدل أن يرد إليهم شعورهم بالكرامة.

إيجست: أواه! أشعر بالألم.

إلكترا: ها هو شاحب الوجه ، يا للهول! ما أقبح إنسان يموت!

أورست: كفي عن الكلام ، ولا يحملن إلى قبره إلا ذكرى ابتهاجنا.

في الحوار السابق يقدم سارتر درسا "تربويا" مهما يتمثل في الانحياز لتحقيق العدل ورد الكرامة للآخرين ، ورفع الظلم عن المظلومين ، وكشف الطغاة وإلحاق القصاص بهم ، ودفع المتلقي إلى استخلاص الدروس التي تصل إليه وأن يكون حر الاختيار.

إن اختراع إيجست للعيد السنوي للموتى ، كان بهدف أن يظل الخوف مسيطرا على أبناء أرجوس ، وبموت الملك ينتهي هذا الخوف. ومن ثم فإن أهل أرجوس يتحملون عبء خطيئتهم الأولى وعبء عدم ثورتهم على مقتل أجاممنون كما أننا سوف نشاهد رحيل أرويست عن المدينة ، بعد التخلص من أيجست وأمه وهذا بعكس ما كان متوقعا من أن يستولى أورست على السلطة بعد التخلصمن الحاكم الطاغية.

وبعد مقتل الملك نجد أورست يتجه إلى مخدع الملكة ويدور الحوار التالي بينه وبين أخته إلكترا(سارتر ، 1967، 156):

إلكترا: "لم يبق في طوقها الآن أن تسئ إلينا.

أورست: لم أعد أعرفك ، فما كنت تتكلمين هكذا منذ قليل.

إلكترا: وأنا أيضا لم أعد أعرفك يا أرويست.

أورست: حسن سأذهب وحدي."يخرج"

إلكترا يتوزعها القلق على مقتل أمها ، فهي تريد ذلك ، وما زالت تريده (سارتر، 1967 ، 157):

إلكترا: (وحدها). أتراها ستستغيث؟ (هنيهة ترهف آذانها). ها هو ذا يسير في الممر ، وعندما يفتح رابع الأبواب... آه! أنا التي أردت ذلك ، ولا أزال أريده ويجب أن أستمر في إرادته (تتأمل إيجست) أما هذا فقد مات".

ويتداعى قتل الأم عن لسان إلكترا(سارتر ، 1967 ، 158):

إلكترا: "... ماذا كنت أريد إذن؟ (سكوت ثم صياح من كليتمنستر) لقد طعنها ، إنها أمنا وقد طعنها (تنهض) هكذا: فقد مات عدواي ، بعد أن استمتعت سنين طوالا بلذة هذا الموت بعد وقوعه".

وتأخذ المسرحية شكلها النهائي الذي يتصاعد في حساب ومعاقبة أورست وإلكترا لارتكاب أورست جريمة القتل ومحاولة إلكترا الندم على تشجيعها لهثم تأتي "ربات الانتقام" وهن الإيرنياب

ويقول لويس عوض في مقدمة ترجمته الأورستية "الجزء الثالث ، الصافحات: "إن الإيرينات في أساطير اليونانوفي ديانتها القديمة ، هن "ربات الانتقام" ، وقد كانت وظيفتهن الأساسية الاقتصاص من الآثمين ، ولاسيما من يجنون على الأقرباء من ذوى الأصلاب والأرحام"(إسخيلوس ، 1968 ، 5).

لذلك نجد ربات العقاب يطاردن أورست بلا هوادة بقصد تدميره عقاباً له على جرمه العظيم ، وهو قتل أمه كليتمنستر.

ولكن "الإيرينيات" في الصافحات قد حولهن إسخيلوس بعبقريته وفلسفته العميقة من رسل الجحيم إلى هيئة رسل الغفران ، أو من زبانية إلى ملائكة رحمة والأصل كما يلقبن كذلك في اليونان القديمة بالصافحات أو المريدات خيرا ، وهو من أسماء الأضداد اتقاء لغضبهن(إسخيلوس ، 1968 ، 11).

ولكن نرى "الإيرينيات" في الذباب هن "ربات الانتقام" كما يشير هذا الحوار: "أورست ، إلكترا نائمان بجوار معبد أبوللو بعد حدوث الجريمة"(سارتر 1967 ، 164):

الإيرينة الأولى: ها ها ها! لقد نمت واقفة مستوية في مكاني من أثر الغضب وحلمت أحلاماهائلة مثيرة ، يا زهرة الغضب الهائج الجميلة ، أيتها الزهرة الحمراء في قلبي!

(تدور حول أورست ، وإلكترا) إنهما نائمان.

وتواصل الإيرينة الأولى حديثها بشأن إلكترا(سارتر ، 1967 ، 165):

الإيرينة الأولى: ها هي ذي تئن. صبرا ، فستعرفين آلام نهشنا وستعولين تحت مداعبة مخالبنا.

وتتناوب الإيرينات في محاكمة أورست(سارتر ، 1967 ، 166-172):

الإيرينة الثانية: "رأيت في المنام أنى أنشب أضراسي.

الإيرنية الثالثة: ها ها ها أريد أن أنشب مخالبي.

الإيرينات: (ضاحكات صائحات): يا جلاد! يا جلاد! يا جزار!"

ثم أ انتهى الأمر بطلب إلكترا الغوث من جوبيتر هاربة عدوا من شر الذباب وشر أخيها وشر نفسها(سارتر ، 1967 ، 191):

إلكترا: "مخاطبة أورست" ، لا أريد الآن أن أصغى إليك فإنك لا تجر على إلا التعاسة ، ولا تقدم لي إلا الاشمئزاز ، (تقفز على المسرح الإيرينات يقتربن ببطء) واغوثاه يا جوبيتر يا مليك الإلهة والناس ، يا مليكي خذني بين ذراعيك أحمني وسأتبع قانونك".

إلى أن تنتهي المسرحية بخروج أورست (والإيرينات يندفعن في أثره معولات). وذلك بعد مواجهته الجمهور الذي وصفه بالكافر والقاتل والجزار وحاول أورست إلى إقناعهم بأن ما فعله كان من أجلهم هم وذلك لنزع الخوف من قلوبهم وهو لا يريد أن يكون ملكا عليهم بل يريد أن يكون لا أرض له ، ولا رعايا (سارتر 1967 ، 199):

أورست: "أريد أن أكون ملكا لا أرض له ولا رعايا ، وداعا أيها الناس وحاولوا أن تحيوا: فكل ما هنا جديد ، وكل شيء قد بدأ منذ اليوم فحسب. وحياتي أيضا قد بدأت".

وينتهي الأمر بمغادرة أورست ليبقى الجمهور أمام تقرير مصيره بنفسه ويكون حر الاختيار ، دون أن يقدم له حلول جاهزة يضعها بين يديه. وقد يرجع هذا إلى نظرة سارتر إلى المسرح ، " لا يكتب أدبا دعائيا بل يرفض دائما فكرة المسرح الذي يحاول أن يدافع عن أيديولوجيا معينة ، وإثبات شيء ما ، أو الذي ينحاز فيه المؤلف لفكره ما"(أسعد ، 1987 ، 247). ويكتفي سارتر بطرح المشاكل بدلا من حلها... ويرى أن المتلقي ، لا المؤلف ، هو الذي يجب أن ينحاز لفكرة ما وحدد ماذا سيفعل ليقرر حريته بذاته. بالتالي كان هناك بعض النقاط لابد من إيضاحها كما يلي:

غياب الجانب العاطفي مع (الأم) وهذا يدل على غياب الحوار بينهما والذي يعكس العلاقة الصارمة التي يجب أن تكون بين أعضاء حركة المقاومة والخائنيين من الفرنسيين فمقتل أيجست وكليتمنستر هو الفعل الذي يختار به ذاته.

استلهم سارتر الأسطورة وعالج تحت ستارها ، أحداث وموضوعات ترتبط بالأحداث الراهنة فمسمى المسرحية نفسه (الذباب) يرمز للذل والإهانة والذنوب في مدينة أرجوس (رمز لفرنسا المحتلة).

كانت نهاية المسرحية مفتوحة... حتى يضع المتلقي لها النهاية بنفسه ويستخلص النتائج بنفسه ويعى ما عليه من فعل. "فالخاتمة المفتوحة للمسرحية جعلت منها مسرحية نضالية ، ففعل أورست أشاع الاضطراب في نفوس سكان أرجوس ، لكن عليهم وحدهم تقع مسئولية الوعى بنتائج هذا الفعل... وعلى المتفرجين أن يحذوا حذوهم "(أسعد ، 1987 ، 253). وقد استخدم سارتر القبح والرموز البائسة في المسرحية كمحاكاة للأوضاع السيئة.

انتهت المسرحية برحيل أورست ودعوته للناس بأن يقدموا فعلا حقيقيَا حتى يحيوا مجددًا على أرض المدينة ، ولكن وهم أحرارا.

نقائض تربية المقاومة عند سارتر:

رغم قوة ونفاذ فكر"سارتر"في ملامسته للحياة الإنسانية في كثير من المواضع وتأكيده على حرية الإنسان ومسئوليته تجاه ذاته والعالم من خلال وعيه. ورغم تفوق هذا الفكر وانتشاره وتأثيره العالمي ؛ إلا أنه احتمل بعض النقائض خاصة فيما يتعلق بتربية المقاومة ، نذكر منها ما يلي:

كان سارتر ينشد الحرية في كل أعماله ، ولم يكتف بالتنظير والتأسيس لها فلسفياً ، بل ناصر قضايا الحرية في العالم أجمع ؛ إلا أن الفكرة التي استند إليهافي صياغته لحرية الإنسان كفيلسوف وجودي"أن وجود الإنسان سابق على ماهيته" وأن عليه وحده اختيار وتأكيد هذه الماهية ، جعلت حرية الإنسان حرية "مطلقة"

والتي ارتبطت لديه برفضه "للألوهية" وهذا ما يصل بالإنسان إلى الفوضى والعبث ، الذي يرفضه العمل الحالي إذ يتنافى مع فكرة الحرية المنضبطة وتربية المقاومة التي تسمح للفرد تأكيد ذاته في إطار احترام حرية الآخر. حيث من الضروري أن يتساءل الإنسان أنه حر بالنسبة لمن؟ ، وما "حدود" حريته؟ وهذا يعني الالتزام تجاه حرية الآخر. فرؤية سارتر: "بأن الفرد لا يمكنه تأكيد ذاته عبر حريته في الجماعة ، لأنه حريته تعتبر حرية ثانوية في ظل هذه الجماعة ، وهذا يعني أن يكون "عبدًا" (علي و القفاش ، 2001 ، 25). تعني الخلل في العلاقة (الفرد/الجماعة) والذي يترتب عليه بالتالي عدم الالتزام ، والظلم والاستبداد والقهر الذي يسعى "سارتر" ذاته إلى "مقاومته". وتأسيسا على ما سبق يكون سارتر قد أغفل الأسس الاجتماعية للحرية مما يتناقض مع تربية المقاومة .

كانت لسارتر مواقفه الصريحة في مساندة كثير من الشعوب المضطهدة والوقوف بجانب قضايا العدل لمقاومة الظلم في العالم كله ؛ إلا أنه تخاذل أمام القضية الفلسطينية ولم يكن له موقف واضح كعادته ، بل أنه كان متعاطفا مع المسألة اليهودية واتضح ذلك من خلال بعض المقالات كمقال له بعنوان"حول المسألة اليهودية"واتضح كذلك من خلال بعض المواقف ، منها وقوفه بجانب إسرائيل في حرب أكتوبر 1973.

ثمة تناقض آخر في فكر سارتر، إذ يفرق بين الأدب والفن فيقول:"إن الأدب يلتزم أن يحمل رأيا ، ويعبر عن دلالة ويخدم قضية ، ويفصل الشعر عن مواكب الأدب ويضمه إلى الفنون إذ لا تقول شيئا عن الواقع ، وعن الحياة إنها أشياء مخلوقة لا مدلول لها ولا رأى فيها"(العالم ، 2010 ، 41). وهذا الفكر لدى سارتر يعبر عن تناقض في الواقع فالفن قادر كما الأدب على الارتقاء بمعرفة وقيم الإنسان وذوقه الجمالي ، وكل منهما خلق جديد يشير إلى وقائع وقضايا وأحداث الحياة ويدفع الإنسان في أحيانا كثيرة "لمقاومة" سلبيات الواقع ويحضه على امتلاك إرادة التغيير. كما أن الفن يلعب دوراً جوهرياً في امتلاك الفرد الوعي بالعالم المحيط ، ويقدم دوراً وسيطاً في التربية والتعليم بإعطائه الدلالات والمعاني التي تعبر عن الواقع بصور مختلفة تمزج بين الجمالي والفكري ومن ثم فإن الفن يوجهه فكر وخبرات ، ويحمل دلالات تخدم قضايا الإنسانية.

تأكيده على وجود معايير للالتزام وتلك المعايير تتطلب أن يكون متفق عليها مسبقاً ، وهو ما يتنافى مع فلسفته حيث يقرر أن الأخلاق وليدة الموقف والتجربة ، ومصدرها الإنسان نفسه في الموقف والخبرة المعاشة. من ثم ليست لها علاقة بالدين أو التاريخ أو الثوابت والمعايير المعدة مسبقاً. وهذا مما يتنافى مع فكرة الخصوصية الثقافية وثوابت الثقافة ، وفكرة الانتماء التي تدعم مقاومة الإنسان ، خاصة مقاومته ومناهضته للمحتل والتي من أجلها قدم سارتر مسرحية الذباب.

التناقض بين فكرة الالتزام والتمرد ، إذ يرى سارتر أن الحرية الحقيقية مجالها العمل والفعل في سياق تاريخي معين ، فهي ليست تصورات وتأملات ذاتية. في ذات الوقت الذي يرى فيه العمل الحالي أن الالتزام والتمرد بُعدان ضروريان للحريات ، ويمكن حل هذا التناقض من خلال التربية إذا استهدفت الحرية "المنضبطة" التي تضع فيها حسابات الفرد مع الجماعة في الاعتبار ، كهدف لتربية المقاومة.

رغم ما نراه من نقائض لتربية المقاومة لدى سارتر ، إلا أننا نرى في سارتر الفيلسوف والأديب المفكر الذي فتح بفكره آفاقًا رحبة أمام الإنسان سعيا لتأكيد حرية ووجوده في هذا الكون ، والدفاع عن حقوقه وهو ملتزماً ومسئولاً عن اختياراته وتبعاتها. وقدم من الآليات والوسائل للوصول إلى هذا الاختيار ، كالاتساق بين الكلام والفعل ، وتحديد الأهداف (القصدية في الفعل) وغيرها من آليات ترسخ لتربية المقاومة لدى الإنسان حيث تدفعه للتفكير في أوضاعه ومحاولة اتخاذ القرار لتغيير واقعه وتقرير مصيره بنفسه. وهذا الأمر يبدو ناجعاً في مجتمعنا في حدود مراعاة الآخر وكذا مراعاة ثوابت الثقافة من دين ولغة وتاريخ وقيم.

الفصل الخامس

تربية المقاومة في الفكر الغربي

"دروس مستفادة لإثراء الفكر والتربية العربيين"

أولا: الخلاصة وأهم النتائج.

ثانيا: تصور مقترح لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب في إثراء واقعنا التربوي.

أولا: الخلاصة وأهم النتائج.

خلص العمل الحالي إلى أن الرحلة الفكرية الفلسفية والأدبية لجان بول سارتر تدور حول عدة محاور أساسية ، تلك التي شكلت رؤيته تجاه العديد من القضايا ومنها فكر المقاومة ، من هذه المحاور ما يلي:

الفكر الوجودي الثوري الذي صبغ رؤيته للقضايا الفكرية والأدبية كالحرية ومسئولية الإنسان ، وقضية الالتزام وغيرها من قضايا مازالت مطروحة على الساحة الفلسفية والفكرية في القرن الحالي.

استخدام سارتر الأسطورة وتوظيفها في إضفاء إسقاطاته السياسية كما فعل في مسرحية الذباب لتأصيل فكر المقاومة.

انحيازه الجريء إلى الشعوب المناضلة والمضطهدة ووقوفه بجانبها ضد ظلم واستبداد المحتل ، ورفضه لكل مظاهر الانكسار.

تميزت أعمال جان بولسارتر بأنها جمعت بين براعة اللغة وحرية الفكر وجمال الأسلوب والرؤية المتفردة ، خاصة الأعمال الأدبية التي عكست عديد من القضايا والهموم المحلية والعالمية التي حمل بها القارئ والمتلقي إلى عالم أكثر حرية وإنسانية ، فكان من أكثر المعبرين عن هموم القرن العشرين.

اتسمت فترة حياة سارتر بالقلاقل والحروب الساخنة والباردة ، فعاصر الحرب العالمية الأولى وشارك في الحرب العالمية الثانية وحاول تجنب الحرب الباردة ، إلا أن قلمه أبى أن يسكت فكان صاحب موقف على الدوام , واتضح ذلك من خلال أرائه عن سياسة الهيمنة على الآخر التي تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من آراء تأبى الظلم والاستبداد. فكان فيلسوفا وأديبًا صادقًا جريئـــًا ترك فكرًا وأدبًا مازال في حاجة إلى مزيد من الدراسات.

قدم سارتر مسرحية الذباب لتدعيم حركة المقاومة وأعضائها في فرنسا إبان الاحتلال النازي وأراد بها دفع الشعب الفرنسي إلى مقاومة كل رموز الاستبداد.

هذا وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج يمكن عرض أهمها فيما يلي:

أكدت الدراسة أن سارتر فيلسوف القرن العشرين من أكبر منظري هذا القرن تفاعل مع أحداثه وقضاياه الفكرية ، قاوم وحارب كل استغلال وظلم على المستوى المحلى والعالمي واتضح ذلك من مواقفه من قضية الجزائر وفيتنام وغيرها.

أكدت الدراسة أن المسرح فاعل تربوي مهم ، يلعب دورا يصعب تجاهلهفي حياة الشعوب ، لما يقدمه من قيم مربية ورؤى فكرية ووجدانية ، وأبعاد لتربية المقاومة لدى الإنسان ، وتجسيده للأحداث وهموم الحياة عموما.

أوضحت الدراسة امتلاك سارتر رؤية فلسفية نقدية عميقة ، حاول من خلالها تبصير جمهور المتلقي بسلبيات الواقع المعاش ، وحثه دائما على الفعل وتحديد مصيره بنفسه ، وامتلاك القدرة على الاختيار الحر، ومقاومة كل رموز الاستبداد.

توصلت الدراسة إلى أن هناك بعض المفاهيم مثل" الحرية - الرفض – الصراع – الزعيم – العنف – الالتزام - المسئولية - الوعي " تلك المفاهيم شكلت أفكار سارتر عن أبعاد المقاومة وافتراضاتها وأسسها الفكرية التي ترتكز عليها تربية المقاومة لديه

ومن تلك الأسس والأبعاد:

وعي الإنسان بحريته ، ووجوده.

امتلاك الإنسان القدرة على الاختيار الحر.

امتلاك إرادة الفعل والمواجهة والقدرة على التغيير.

حرية تقرير المصير والالتزام والمسئولية عن الفعل والاختيار.

رفض القهر والظلم ، والخنوع والاستسلام..وغيرها.

أسفرت الدراسة الحالية عن بعض أبعاد تربية المقاومة كما أسفر عنها التحليل الكيفي لمسرحية الذباب لسارتر ، وكل بعد من هذه الأبعاد محمل بقيم ومواقف داعمة لتربية المقاومة من أجل بناء الإنسان الحر المقاوم لكل مظاهر استعباده كما يلي:

1- التربية لوعي الإنسان بحريته وحقيقة دوره في الحياة: وذلك من خلال نقد الواقع المفروض ومحاولة مقاومة سلبياته ، وإيقاظ مشاعر الإنسان وتحفيزه للبحث عن الحقيقة ، رفض العبودية من خلال الوعي بالحرية حيث أن الوعي حرية كما يراه سارتر ، وتربية المقاومة بالانتقاء الثقافي وحب التثقيف. ومقاومة الوجود الزائف , ورفض الاستسلام.

2- التربية لحب الوطن والانتماء إليه: برفض استباحة الوطن ، ورفض فكرة إخضاع الشعوب واستخدام العنف ، والتربية بالانتماء بإيقاظ العاطفة والحنين للذكريات.

3- التربية لمقاومة ما يعكر صفو الحياة الإنسانية: وذلك بمقاومة الخوف ورفض غرسه في النفوس ، وتربية التفاؤل والأمل في التغيير ، ورفض الخيانة والخديعة بحجب قدرة الناس عن أعينهم(تزييف وعيهم) ، ورفض الخنوع والتخاذل بمقاومة القهر.

التربية لغرس وإنماء القيم المربية: ومنها محاسبة النفس بعد ارتكاب الإثم لتحقيق التحرر ، وطهارة الروح والسلام بين البشر الذي يحقق السعادة ، وكذا رفض التسامح المشوب بالذل والخنوع ، ودعم حرية الفكر والفعل ، وتحقق العيش في حرية وأمان دون تزييف ، وتطبيق القصاص لتحقيق العدل والكرامة.

وأخيراَ قد يبدي البعض الاختلاف مع بعض آراء "سارتر" إلا أن الأثر الذي تتركه هذه المسرحية ينهض الحرية والصراحة والشجاعة والجدية ، ويفتح باباً للحوار الفكري والاجتماعي ، وآفاقا خصبة من الإبداع الفكري والفني في ذات الوقت ، مدعو فيه الإنسان إلى مقاومة نزعات الشر في ذاته وفي الآخر بمقاومة الظلم والاضطهاد. هذا وقد اتضح من خلال تحليل المسرحية الفرق بين المقاومة التحريرية والعنف ، فسارتر كان من المفكرين الذين طالما كتبوا عن المقاومة فكانت من أجل التحرير.

وما توحي به المسرحية من دلالات حول تصفية الخائنين والقصاص منهم فهو إيحاء منها للتخلص من الاحتلال ، وهى مقاومة مشروعة. وإذا كانت مسرحية الذباب عمل أراد به سارتر مساندة حركة المقاومة ، إلا أنها قد تخرج بنا من حدود الزمان(الحرب العالمية الثانية) والمكان(فرنسا المحتلة)المحددين إلى الدعوة المطلقة للحرية والسلام واليقظة الثورية ، ونبذ القهر والقمع. إنها دعوة لتأصيل الحرية وتنميتها في الحياة الأدبية والفكرية والاجتماعية وبالأحرى التربوية ، مع احترام الخصوصية الثقافية.

ثانيا: تصور مقترح لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب في إثراء واقعنا التربوي.

حاولت الدراسة الحالية تقديم تصور مقترح لكيفية الإفادة من أبعاد تربية المقاومة في مسرحية الذباب في إثراء واقعنا التربوي كما يلي:

إن المثقف الحق ينقد بنزاهة الأوضاع المجتمعية السياسية منها والاقتصادية والثقافية وغيرها. ويدعو إلى تغيير هذه الأوضاع طارحا البدائل الأفضل. وجان بول سارتر أديبا وفيلسوفا عالميا نقد بحرية ودعا إلى الالتزام ومقاومة الظلم واستدعى من خلال كتاباته وخاصة المسرحية منها ، لدى الجمهور عديد من القناعات والمواقف والأبعاد المختلفة لتربية الإنسان المقاوم ، التي طالما تحولت إلى مواقف حياتية قد يتحقق من خلالها أهدافا مربية في جمهور المتلقي. وفي إطار العمل التربوي نقدم منها ما يلي:

توجيه حرية الأفكار والأفعال نحو التزاوج مع المسئولية في العمل التربوي لمقاومة الجمود ومسايرة التغيير الإيجابي.

رفض كل مظاهر الظلم والقهر ، والتفاوت في العملية التعليمية لمحاولة دعم المساواة.

تربية التفكير النقدي وممارسة مع الذات والآخر. وهذا يعزز الدخول في مجتمع المعرفة بشكل فاعل.

تشكيل الإنسان الملتزم... وتوصيف آليات هذا التشكيل.

تفعيل المسرح المدرسي في إطار خلق مدرسة جاذبة للطفل وتقليص مقاومته لحب المدرسة ، بالاستعانة بالأبعاد المربية في النص المسرحي والأدبي عموما ومحاولة تفعيلها.

خلق هدف مجتمعي عام يدور حول بناء الإنسان الحر المقاوم المبدع والذي يلتف حوله الجميع في محاولة تحقيقه ، من أدباء ومثقفين وفلاسفة وعلماء ممن قدموا ويقدموا دراسات عميقة وذات مصداقية في مجالاتهم.

مما يتطلب النظرة الناقدة للفكر والواقع كما يتطلب تأصيلا تربويا لفكر المقاومة لكل ما يعوق طريق المجتمع لتحقيق تقدمه ، من ثم تأكيد الدور الفاعل لتربية المقاومة وأهمية بناء الإنسان المقاوم خاصة في الوقت الراهن الذي يموج بالعديد من آليات الاختراق والهيمنة على جميع الأصعدة.

ولما كان سارتر فيلسوف وجودي يسعى لامتلاك المواقف الإنسانيةفي تكاملها الفعلي الملموس ، فهناك من المواقف والمضامين المربية التي تمثل دروسا مستفادة تميز بها النص المسرحي في فكر سارتر يمكن الإفادة منها في الفكر والفعل التربوي وخاصة التعليمي ، في وضع السياسات التعليمية وتنفيذ هذه السياسات في شكل أفعال على أرض الواقع التربوي في وضع وتحديد الأهداف وفي اختيار المحتوى والمناهج وطرق التدريس والوسائل والأساليب المستخدمة ، بل والمناخ الذي يتم فيه الفعل التربوي ، من أجل تحقيق غاية بناء الإنسان الحر المبدع المقاوم كما يلي:

أولا: تحديد أهداف التربية والتعليم واستنفار الهمم وشحذ العقول لتحقيقها:

فتحديد الأهداف تقي من التخبط والعشوائية في العمل التربوي ، والتي تحتاج إلى عزيمة الرجال الصادقين لتحقيقها. فيرى سارتر أنه :"إذا اختار الكاتب أن يصوب فيجب أن يكون له تصويب رجل ينظر إلى أهداف ، لا تصويب طفل مغمض العينين ومن دون غرض سوى السرور بسماع الدوي"(سارتر ، 2005 ، 28) وهذا يدعو إلى الوعي بأهمية التفكير النقدي في تحديد تلك الأهداف وطرائق تحقيقها.

ثانيا: سؤال القصدية عن القول والفعل ليعي الإنسان حريته وحقيقة دوره

فيسأل سارتر الكاتب مثلا لماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟ وهذا ما يتزواج مع فكر فلسفة التربية النقدية لماذا نربي؟ ومن نربي؟ وكيف نربي؟ وهى أسئلة عن طبيعة الإنسان الذي يقع تحت فعل التربية وطبيعة احتياجاته ومتطلباته ، وما الغاية من ذلك؟ وبأية وسائل وطرق يمكن الوصول إلى تلك الغايات. وهذا بمثابة استراتيجية في بناء الإنسان يقوم عليها المجتمع الذي يبني مشروعا حضاريا قوامه بناء الإنسان وتحقيق التنمية المستدامة.

ثالثا: التلازم بين القول والعمل ، بين النظر والتطبيق لتحقيق الالتزام وتربية المقاومة:
فيقول سارتر: "إن الكلام عمل" وهذا في إطار مبدأ الالتزام. حيث الصمت أيضا لحظة من لحظات الكلام ، فهو أيضا يعبر عن موقف يلتزمه الإنسان ، ووسائل مربية يكرسها المعلم ويحسن استخدامها. فقد يعود العزوف عن الذهاب إلى المدرسة نتيجة للفصل التعسفي بين النظر والتطبيق ، وخروج المنهاج التربوي عن تلبية حاجات ومتطلبات المتعلم والمجتمع. مما أدى إلى النفور من المدرسة ، وبالمثل من الثقافة والفكر المنفصلين عن حياة الشعوب. إذ أنها تربي الاعتماد والتبعية والاستسلام ، ولا تربي المبادأة والإبداع وهذا يرفضه "سارتر" وتربية المقاومة تدعم التواصل والتلاحم بين الكلام والفعل وتحض عليه. مما يدعو التربية عامة إلى مقاومة اللفظية والتلقين ذلك الذي يضعف إرادة التغيير لدى الإنسان ، ويكرس للعجز والهروب من تحمل المسئولية ، بدلا من مقاومة الترويض الفكري والخنوع لسلطة ما تحول دون تكوين الإنسان الحر المقاوم.
رابعا: المعلم ومهمة السعي الدائم إلى تعديل السلوك في إطار "نسق قيمي مربي" يمثل المعايير الحاكمة للسلوك ، بدعم الجيد منه ، ورفض ومقاومة الآخر السلبي :

وهذا يدعم المتعلم "الإنسان" ويمكنه من مقاومة كل ما يحول دون تأكيد ذاته في ظل احترام ذات وحرية الآخر. والذي إذا اقترن مع موقف القصدية السابق سيكون التعديل دائما للأفضل. فيسأل سارتر عن أية تغيير يريد الكاتب تحقيقه من خلال العمل ، وربط ذلك بالصفة الإنسانية (وهذه أسئلة مربية في المقام الأول) " إنما الكلام عمل ... إذا سميت سلوك إنسان فقد أوحيت به إليه... فإما أن يواظب على ما كان عليه من سلوك ، وإما أن يرتد عنه(سارتر ،2005 ، 27) و"المعلم" هنا هو العنصر البشري المباشر الذي يجب أن يتمثل هذه المواقف ويجيب عنها.

خامسا: السعي الطموح والأمل والتفاؤل مع العمل المتقن:

دون ذلك يعني موت الإنسان واستسلامه بغير مقاومة. فمقولة سارتر "فعلي هو حريتي" تدفع لرؤية العمل الجاد مع التطلع إلى كامل النجاح أمر مهم لدى الإنسان يضفي مزيدا من التفاؤل والأمل في تحقيق نتائج جيدة ، ويجعل الفرد يقاوم ما يقابله من صعوبات بصمود ومثابرة عاليين. وهذه أبعاد مربية تدفع الفرد"المتعلم" لمزيد من التعلم والترقي.

سادسا: توظيف الصمت كأسلوب وفعل تربوي:

فالصمت لحظة من لحظات الكلام ، فليس السكوت بكما ولكنه رفض للتكلم ، إذن فهو نوع من الكلام. ويستطيع المعلم أن يحقق كثيرا من الأهداف وغرس الاتجاهات من خلال الصمت المعبر والموجه بفطنة لتغيير أو تعديل سلوك ما أو غرس سلوك آخر في المتعلم.

سابعا: أهمية دعم وتوظيف القراءة والإطلاع كإبداع موجه :

إن تحقيق القراءة كنشاط يومي يقوم به المتعلم ، يرتبط بتحقيق هدف التعلم الذاتي الذي يمثل جزء ضروري في التربية المعاصرة خاصة في ظل التدفق المعرفي الراهن. فقد كان العقاد يرى القراءة من منظور أنها تمنحه حيوات متعددة حيث أن حياة واحدة لا تكفي ، فكان مثلا راقيا للتحدي من أجل التعلم الذاتي. فالقراءة كما سلف أن أشار البحث يراها سارتر، إبداعا موجها مكمل لعملية الكتابة وحرية القارىء. وهذا يمثل هدفا تربويا تنمويا يتطلب التخطيط له ، ودعمه المستمر لدى النشء. إذ أن مجتمع المعرفة يتطلب القراءة الواعية من أجل البناء والاستثمار المعرفي المنشود.

ثامنا: تأكيد النظرة الإنسانية للمتعلم:

وترتبط هذه النقطة بالفلسفة الوجودية عاما ونزعتها الإنسانية ، كما ترتبط بفكر سارتر خاصة فيما يتعلق بنظرته الناقدة للمؤسسات ومنها المؤسسات التعليمية ، إذ يتم "تشيؤ" الإنسان والنظر إليه وكأنه سلعة فتضعف مقاومته أمام هذا التسيد للمادة على حساب المعاني والقيم لديه. من ثم يتأكد ضرورة النظر للمتعلم وللفرد عموما على أنه "إنسان" له حرية الاختيار والفعل مع مراعاة الآخر.

هذا وفي إمكان المدرسة ووسائط التربية بعامة توظيف هذه المواقف وترجمتها إلى سلوكيات حقيقية تسهم في بناء الإنسان. إذ في ظل تداعيات العولمة الجارفة اليوم ، يكون هذا الإنسان أحوج ما يكون إلى تناغم وتماسك الوسائط التربوية القائمة على بنائه لتحقيق فكر وفعل المقاومة لكل رموز الظلم والاستبداد والطغيان في الواقع ، والتي تحول دون حق الإنسان في الحرية "التي تحترم حرية الآخر". وهذا يتطلب توافر الآليات والأساليب الداعمة لمضامين وأبعاد المقاومة وغرسها في النشء منذ الصغر. من ثم يكون العبء الأكبر في تحقيق هذه المهام في البداية يقع على عاتق الأسرة ، ثم يترافق معها دور منوط بالمدرسة ، ووسائط التربية الأخرى ، خاصة جهاز الإعلام بعمل تغطية داعمة ومستمرة تسهم بفعالية في مهمة بناء الإنسان "الحر المبدع المقاوم"لتتحول تربية المقاومة إلى سلوك ومنهج وأسلوب حياة.

المراجع

أولا:المراجع العربية

أرونسون ، رونالد (2006) : كامو وسارتر ، ترجمة: شوقي جلال , عالم المعرفة ، العدد (334) ، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب).

إسخيلوس (1968): مأساة أورست "الصافحات" ، ترجمة: لويس عوض ،(القاهرة ، دار المعارف).

أسعد ، سامية (1987): ج-ب سارتر أمام أول نقاده ، في كتاب "أنجريد جالستر" ، عالم الفكر، المجلد 17 ، العدد ، 4 ، يناير – فبراير –مارس(الكويت ، وزارة الإعلام).

جانسون ، فرنسيس(1967): سارتر بقلمه ، ترجمة/خليل صابات ، (ببيروت ، منشورات نزار قباني مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر).

جبريل ، محمد (2015). خلق الإنسان ليقاوم . مجلة أدب ونقد. حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي. القاهرة. ع345.

حرب ، سعاد (1994): الأنا والآخر والجماعة دراسة فى فلسفة سارتر ومسرحه دراسات فلسفية (بيروت ، دار المنتخب العربي).

حسين ، إبراهيم حسن (2008): تربية المقاومة في الشعر العربي المعاصر"دراسة نقدية" رسالة دكتوراة ، كلية التربية ، جامعة كفر الشيخ.

خضر ، محمد على (1998): الوجود الإنساني بين الحرية والعبث عن جان بول سارتر والبيير كامو ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية.

خميس ، محمد رشاد ، و فؤاد ، ماهر (1968): من مقدمة سجناء الطونا لجان بول سارتر ، من سلسلة مسرحيات عالمية ، العدد 61(القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر).

دي كرستي ،(أنتونى) وميونخ ،(ليث) ، (د.ت): أعلام الفلسفة السياسية ، ترجمة/نصار عبد الله ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

الديدي ، عبد الفتاح(1971): فلسفة سارتر ، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية).

رسل ، برتراند (2009).: حكمة الغرب وعرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي ، ترجمة/فؤاد زكريا ، عالم المعرفة ، العدد 364 ، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب).

سارتر، جان بول (1948):الأيدي القذرة (بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة).

سارتر، جان بول (1966): الاستعمار الجديد ، ترجمة/عايدة سهيل إدريس ، (بيروت ، دار الآداب).

سارتر، جان بول (1967): الذباب أو ... الندم ، ترجمة وتقديم/محمد القصاص ، روائع المسرحيات العالمية ، العدد 42 (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، وزارة الثقافة).

سارتر، جان بول (1977): المادية والثورة ، ترجمة/عبد المنعم الحنفي (القاهرة ، مكتبة راديو).

سارتر، جان بول (2005) : ما الأدب؟ ترجمة وتقديم وتعليق/محمد غنيمي هلال ، (القاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).

سارتر، جان بول (1944): جلسة سرية ، ترجمة:مجاهد عبد المنعم مجاهد(القاهرة ، دار النشر المصرية).

سارتر، جان بول . (د.ت): الوجود والعدم ، ترجمة/عبد الرحمن بدوى (بيروت ، دار الأدب).

الشاروني ، حبيب (1963): أزمة الحرية بين برجسون وسارتر ، (القاهرة ، دار المعارف).

الصباغ ، رمضان (1981): فلسفة الفن عند سارتر وتأثير الماركسية عليها(الإسكندرية ، دار الكتاب الحديث).

العالم ، محمود أمين (2010): الثقافة والثورة ، ذاكرة الكتابة 111 ، ط2 (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة).

علي ، سعيد إسماعيل (1995):فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة العدد(198) ، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب).

علي ، سامي محمود والقفاش ، عبد السلام (2001): جان بول سارتر، نظرية في الانفعالات ، (القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب).

عليان ، أحمد محمد(2000): جدلية العلاقة بين الفلسفة والأدب (بيروت ، دار المنهل اللبناني).

فرج ، لبيبه محمد(1996): مفهوم السلام العالمي في الفكر السياسي الوجودي لدى جان بول سارتر وكارل ياسبر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة المنوفية .

القصاص ، محمد (1967): في تقديم مسرحية الذباب ...أو الندم لسارتر، روائع المسرحيات العالمية ، العدد 42 (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، وزارة الثقافة).

كرانستون ، موريس (1981): سارتر بين الفلسفة والأدب ، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

كلارك ،سايمون(2015). أسس البنيوية نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية. ترجمة: (سعيد العليمي). (القاهرة: المركز القومي للترجمة. دار بدائل).

ماري ، ورنوك (1987): نصوص مختارة من التراث الوجودي ترجمة/فؤاد كامل ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

المنوفي ، محمد إبراهيم (2005): تربية المقاومة في خطاب"نزار قباني" دراسة تحليلية ، الندوة العلمية السابعة بعنوان الأدب والتربية ، قسم أصول التربية – جامعة كفر الشيخ.

مودوخ ، إيريس: سارتر المفكر العقلي الرومانسي ، ترجمة/شاكر النابلسى ، (القاهرة ، دار المفكرة ، د.ت.).

مونجان ، أوليفي (2008): التزام وقيمة ، كتاب أوراق فلسفية ، العدد 8 (القاهرة ، مركز النيل).

ثانيا:المراجع الأجنبية

Arthur, P., (2007): Remembering Sartre, Springer Science, Busniness Media B.V. Authenticity, Human Studies, Netherland, Kluwer Academic Publishers.

Buchan, B.A. (1996): Situated consciousness or consciousness of situations? Autonomy and Antagonism in Jean-Paul Sartre's Being and Nothingness, Elsevier Ltd History of European Idea, Vol, 22, No.3.

Butterfield-Elizabeth-C, (2004): prospects for a new humanism in a post-humanist age: Re-examining the later works of Jean paul sartre, PHD of Emory-university (0665).

Charme, S.Z., (1991): Sartre's images of the other and the search for

Couprie, A., (1995): Le théatre, Texte Dromaturgie Histoire, Nathan, Paris.

Dale-John-A (2004): A critical inquiry of freirean pedagogy: Implications for contemporary adult education (Paulo Freire) EdD of Ball-State-university (0013).

Deguy, J. (1991): Les Mots Sartre, série Profil D'une oeuvre, Hatier, Paris.

Geroux, H., (2001): A Theory and Resistance in Education, Towards a pedagogy for the opposition,London,Bergin&Garvey.

Goff, R., (w.d): On Sartre's Language, University of California.

Gordon, H. & Gordon, R., (1996): Sartre on questioning varsus the curse of Bad Faith: the Educational challenge, Nether lands, Kluwer Academic.

Gray-Kevin,(2005) Jean-Paul Sartre and neo-Marxism (Albert Camus, Maurice Merleau-Ponty), Political-Science General, V. 43-06.

Lecherbonnier, B. (1972): Huis clos, Sartre, série Profil D'une Oeuvre, Hatier, Paris.

Lévy, B.H., (2003): Sartre, The philosopher of the Twentieth Century, trans, Andrew Brown (Cambridge, Polity).

Marcano-Donna-Dale-L, (2004): Sartre and The social construction of race (Jean paul-Sartre) PHD, of the university of Memphis (1194),.

Minahen, C.D., (1991): Crime, A floating signifier in Sartre's les mouches Neophilologus 75.

Paolucci, G., (2007) Sartre’s humanism and the Cuban revolution, Springer Science + Business Media B.V. Theor Soc.

Sartre J, P., (1956): Being and Nothingness, trans. Hazel Barnes. New York: Washington Syuare, press

Sartre, J.P (1957): Existentialism and Human Emotions, a Philosophical Library Book ISBN 0806509023.

Sartre, J.P., (1946): L'existantialisme est un humanisme, Nagel.

Sartre, J.P., (1975): Between Existentialism and Marxism, Pantheon.

Song Xuezhi, Xu Jun, (2007): Sartre Studies in China: From the new period to the new century, China, Higher Education Press and Springer -Verlag.

Stanley, A. & Giroux, H. (1993): Education still under siege, 2nd ed.London, Bergin and Garrey.

Thomas, R.F., (w.d): An end to Authority Epistemology and Politics in the later Sartre.

Wise-John.D: Santre's phenomenological ontology and the german idealist tradition (Jean-Paul Sartre), PHD, of University of California Irvine (0030), 2004.